* * *

قافيـــة الدال

بعـــد خلو حرف الخـاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممّا بخِلَعٍ وحُلانٍ[1] أُخرجَتْ اليه من الحضرة ويصف العُودَ والجامَ والخِلَعَ

(٩١) أُرِى طَـرفَها أنّ الخضابين واحـدُ ... ولكنّه ما بَهـــرجَ[2] الشيبَ ناقدُ

ضَـــلالةُ حُبٍّ غادرتنى مزوّرا ... عِـذارِى وإنى لو أفقتُ لَراشـــدُ

يقولون: عُمرُ الشيبِ أطولُ بالفتى، ... وما سرَّنى أنى مع الشَّـــيبِ خالدُ

أَماضٍ فغـــدَّارٌ زمانٌ أباحـنى ... حريمَ الهـــوى أم حافظٌ لِى فعائدُ؟

ودارَينِ من عالى "الصَّرَاةِ" سقتهما الـ ... ـبوارقُ رِبعِيّ[3] الهوى والرواعـــدُ

ألفتُهما والعيشُ أبيضُ ضـاحكٌ ... بربعهـــما والظلُّ أخضرُ باردُ

وندمانُ صَبْحِى صاحبٌ متسـمّحٌ ... معى، وضجيعُ الليـل إلفٌ مُساعدُ

وأخرسُ[4]، ممّا سنَّت "الفرسُ" ناطقٌ ... يُهِبُّ رياحا رَوحُه وهـــو راكدُ

على صدره بالطُّول سبعٌ ضعائفٌ ... تدبّرها بالعَـــرضِ سَبعٌ شـدائدُ

وخمسُ سكونٌ تحت خمسِ حَوارِكٍ ... تُمِـــدُّ ثلاثًا يمتطيهنَّ واحـــدُ

يشرّدُ من حلم الفـــتى وهو حازمٌ ... فيرجعُ عنـــه فاســـقا وهو عابدُ

وقَوراءُ[5]، ماءُ الكرم أحمـــرُ ذائبٌ ... عليهـــا وماء التبر أصـــفرُ جامدُ

---

(١) الحُلان: ما يُحمَّلُ عليه من الدوابّ فى الهِبَة خاصّة. (٢) بهرج: زيَّف.

(٣) الربعىّ: ما نتج فى أيام الربيـع وهو هنا مجاز. (٤) يكنى عن العود ويصفه.

(٥) القوراء: الواسعة، ويريد بها الكأس.

تُمثِّلُ "بَهْرامَ الكواكبِ"[1] قائماً ... بها حيثُ "بَهرامُ الأكاسر" قاعدُ

أميرانِ، يُخفي قائمَ السيفِ قابضٌ ... عليه، ويُبدي دُرَّةَ التاجِ عاقدُ

تَبينُ وحبّاتُ المزاجِ نوازلٌ ... وتَخفَى وحبّاتُ الحَبابِ صواعدُ

مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها ... اذا لاحظ الأعقابَ فهي مَفاسدُ

ودنيا، لسانُ الذمِّ فيها محكَّمٌ ... ولكنها عند "الحسين" تحامدُ

اليكم بني الحاجاتِ إنّيَ رائدٌ ... لِيُحبَسَ جارٍ أو لِيَبرُكَ واخدُ

أبٌ بكُمُ بَرٌّ وأنتم معقّةٌ ... أخٌ لكُمُ دِنّيًا وأنتم أباعدُ

حبيبٌ اليه ما غنمتم كأنه ... اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافدُ

أناةٌ[2] ومن تحت القطوبِ تبسُّمٌ ... أوانًا وفي عقب الأناةِ مكايدُ

محاسنُ لا ينفكُّ يشعُرُ حامدٌ ... لها بعضَ ما يَطوِي على الغلِّ حاسدُ

ولما جلاك الملكُ في ثوب جسمه ... تراءت على قدر العروس المَجاسدُ

أثبتُ بها عذراء ما اقتضَّ مثلَها ... سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهدُ

"بهائيّة" تُعزَى لأشرفِ نسبةٍ ... لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تُراودُ

لها أرَجٌ للعزِّ باقٍ وإنها ... على عزِّ من تُهدَى اليه لَشاهدُ

على منكبِ الفخرِ استقرَّت ولم تكن ... تُلاقيكَ[3] لو لم تدرِ أنّك ماجدُ

أبانَ بها ما عنده لك، إنما ... تُحلَّى لإكرامِ السيوفِ المَغامدُ

فزادَ "بهاءَ الدولةِ" اللهُ بسطةً ... على أيِّ عِلقٍ[4] منكَ أضحى يزايدُ

لئن كانَ سيفًا مرهَفَ الحدِّ إنه ... لَيَعلمُ عِلمَ الحقِّ أنك ساعدُ

أتانيَ ليلا — قرَّ عينا — مبشِّرٌ ... فأيقظني وَهْنًا وإني لَراقدُ

---

(١) بهرام الكواكب : المريخ ، قال حبيب بن أوس :

له كبرياءُ المشترى وسعودُهُ ❊ وسَورةُ بَهرامٍ وطَرفُ عُطارد

(٢) في الأصل "أناك" . (٣) في الأصل "تلقيك" . (٤) العلق : الشيء النفيس .

وقفتُ، فكفٌّ (١) يشكر الدهرَ كاتبٌ ... ثناك، وخدٌّ يشكر الله ساجـــدُ
وناديتُ فانثالتْ مَعانٍ كأنّ ما ... تنظّمه منها القـــوافى فَـــرائدُ
وتَنقُدْن لى ما بِرنَ ظهرَ مدائحى ... اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صـــواديا ... ليَسْرَحنَ إلا حيث تصفو الموارِدُ
ولست كمن يُعطى الأسامى نوالُهُ ... اذا جاد تقليـــدا وتُلْغَى القصـــائدُ
وما الشِّـــعرُ إلا ما أقامت بيوتُه ... وسارت (٢) تأضحى قاطنا وهو شـــاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ — اذا فشـــا ... به الحفظُ — أغلالٌ وأخرى قلائدُ

* * *

وقال يمدحه و ينتجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبى كفيلا من العهدِ ... يذكّرنى بالقـــربِ فى دولة البعـــدِ
فقولا لواشيها — وإن كان صادقا — : ... وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليلَىَّ، ما للريح هبّت مريضـــةً ... هل اجتدتِ البُخّالَ أم حَمَلتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداعين ما لا تُقِـــلُّه ... على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصَّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملى بجامع؟ ... ومدُّ يدٍ، لكن مَنِ الرَّجُلُ المجـــدِى؟
فلا حُبَّ بل لاحظَّ نالك حظُّـــه (٣) ... قد اشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسَمِّى زمانى طولَ صبرى تجـــلُّدا ... عدمتك، ما أبقيتَ بعـــدِىَ للجَـــلْدِ؟
كما ذَمَّ مَنْ قبـــلى ذممتَ عالما ... بأنك موقوفٌ على الذمِّ من بعـــدِى
ولكن تجاوَزْ لى بصَرفك ماجدا ... اليـــه اذا جارتْ صروفُك أستعدى
اذا "الصاحبَ" استنجدتُه فوجدتُه ... فَرُعْنِىَ فيمن غيره شئتَ بالفقدِ

(١) كفّ مؤنثة وتذكيرها هنا يراد به العضو . (٢) رجّحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

obeikandl.com

وإن مرَّ فى الأحباب عيشٌ بغيره ... شقيتُ بعلم الله فى ذاك والحمدِ

وما أعرفُ الممدوحَ لم يحزنى به ... اذا قلتُ خيرا ، إنَّ ذلك بالضدِّ

أحقُّهمُ عندى بما قمتُ مذنبا ... أعدَّدد مَنْ فات إحسانُه عَدّى

فإن تكن الأيام أجدبن مرتعى ... لديه وكدرن الزلالة من وِردى

أقولُ لآمالى — وأخشى قنوطَها — ... ركوبُك ظهرَ الصبر أدنى الى الرشدِ

تُطار فلولا وجهُ سعدك لم يكن ... بمراجُك فى الظلماء نجمَ "بنى سعدِ"

"ابا القاسم" أمنحنى سمعتَ استماعةً ... وقِفْ بى من استبطاء حظّى على حدِّ

نخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لافيا ... بسَطْ(١) كلامى كلَّ ذى نائلٍ جعدِ

اذا قلتُ : أين الجودُ؟ أنشد بخله : ... ما الدهرُ ربعاً "بالمشقّرِ"(٢) من "هندِ"

تعابُ لديه الشمسُ بادى نورِ حجّةً ... على منعه ، والماءُ فى الغيظ من بَرْدِ

وفاضت — وهم يأسٍ — بحارُك بأسهم ... فيالَيت شعرى ما لجودك ما بُدى!

وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ ... ولكن قليلٌ مُكثُها دولةُ الوَرْدِ

أظلُّ وما فى عاشقيك محقَّقٌ ... سواى ، أقامنى الهجرَ من بينهم وحدى

فلم أنت راضٍ لى وللمجد وقفةً ... تراحَمَ دمع اليأس فيها على خدّى

وما غيرُ تأميلى بدينى تضاؤله ... فكم أتقاضاه وأنحتُ من جلدى

عسى بقف الإنجاز بى عند غايةٍ ... تريح فلى حولٌ أجرَّ على الوعدِ

قساويفُه وأنا المطالُ حدودَه ... فعجّل لها الإنجازَ أو حَيِّهِ الرَّدّ

---

(١) البسيط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل "بسيط" . (٢) المشقر : اسم موضع .

* * *

وأنفذ اليه الكافى الأوجد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه ، ويذكر تنزُّهه عن النظر فى الوزارة بالرَّىّ ، واعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه ، وما بان من تعجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بها ملأَى ثِقالا أو آختدى

فكان وما باراه من عَبَراتنا ... نصيبَ محـــلٍّ "بالجنابِ" تأبَّدا (١)

وما كنتُ لولاه ـ ولو تربت يدى ـ ... لأحمـــلَ فى تُربٍ لمـاطِرِهِ يدا

خليلىَّ ، هذى دارُ "لميـاء" فاحبسا ... معى وٱعجبا إن لم تُميـــلا فتُسعدا

نعاتب فيها الدهرَ ، لا ! كيف عتبُهُ؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا

سلاها ــ سـقاها ما يُعيـد زمانَهـا ... وعيشا بها ما كان أحلى وأرغدا ــ :

عهِـدْنا لديك الليـــلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يَطلُعُ أســـودا؟

فأين الظبـاء العامراتك بالظُّبى ... ثنىَّ وفُـــرادى ، غافلاتٍ وشُرَّدا؟

وليـــلُ ٱختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لما مازت الأيدى القِنـاعَ من الرِّدا

أبعدَ جلاءِ العينِ فيك من القذَى ... أرى أثرا أنَّى تلفتُّ مُرْمِـــدا؟

لعمرُ الجـــوى فى رُفقتى بك إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعـــوَّدا

وقلتُ : صَدًى ، قالوا : الفراتُ الذى ترى ... وهيهات ! غيرَ الماء ، ما تُقع الصدَى

مضى الناسُ ممّن كان يعتـــدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقين إن هو عـــدَّدا

وكان بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ ، فمَن لى أن أرى المتـــودِّدا!

أمنعطفُ قلبُ الزمان بعاطِشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه مَوردا؟

تحمَّل شرقيًّا مع الركب شـــوقُهُ ... وقد غار شـــوقُ العاشقين وأنجدا

(١) تأبد : أقفر ولازمته الوحوش .

له بين أثناء الجبال وأهلها ... مَزارٌ حبيبٌ دونه طُرُقٌ عِدَا
وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا ... "وشهلانَ" شخصا جالسا متوسِّدا
وليثَ الشرى تحت السُّرادق مُليدا ... وبحرَ الندى فوق الأسِرَّة مُزبِدا
وأن أدرك العلياءَ شخصا مصوَّرا ... هناك وألقى العزَّ جسما مجسَّدا
ومن بَلَّغَتْهُ "الأوحدَ الكافيَ" المُنى ... تَفَزَّلَ مَكْفِيًّا وفاخَرَ أوحدَا
لذاك اشتياقي، ليس أن جازني له (١) ... على البعد إحسانٌ ولا فاتني نَدَى
مواهبُهُ سارت لحالي كثيفةً ... وشعريَ مطلوبا وذكري مشيَّدا
فمن نِعمةٍ خضراءَ تسبق نِعمةً ... له، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا
فمتى لم أجد لي غيره فأقول: ما ... أعمَّ عطاءً من فلانٍ وأجودا
أنالَ وفي الأيام لينٌ وأيبستْ ... فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا
اذا بَلَغَ الزُّوَّارُ بابَك أُلقيتْ ... رحالُ ذليلٍ عَزَّ أو حائرٍ هَدَى
وقَلَّ من الآرابِ (٢) قُلَّ (٣) ضممتَهُ ... وقد جاز في الآفاق نَهبا مطرَّدا
تُغَلَّقُ أبوابُ الملوكِ أمامَهُ ... ويَرعَى لديها الجهلُ وهي لَقًى سُدَى
تدافعه آدابُها وأكفُّها ... مدافعةَ السَّرح البعيرَ المعبَّدا (٤)
كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ ... جفوتَ، فقد صارت كما شاءها العِدا
فموكبها بعد السكينة نافرٌ ... ومركبها صَعبٌ وكان مُمهَّدا
عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه ... وكان احتشاما منك يمشي مقيَّدا
فإن يك ضَرَّت (٥) هجرةٌ بعثَ "أحمدٍ" ... فقد حطَّ هجرُ "الرَّيِّ" رتبةَ "أحمدا"
تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده ... ووازرها والكَدُّ فيمن تقلَّدا

(١) في الأصل "حازني". (٢) الآراب جمع أرب وفي الأصل "الآداب". (٣) القُلّ الذي لا أحد له. (٤) المعبَّد: البعير المهنوء بالقطران لجربه. (٥) في الأصل "ضرب".

أيخشى "ابن إبراهيم" فَوتَ وِزارةٍ ... وقـد حازها سقفَ السماء وأبعـــدا

ولما بدت للعين وَقْصاءَ[1] جهمةً ... وكانت تريك البدرَ والظبيَ أجيـدا

معنَّسة أفنيت[2] عمـــرَ شبابها ... فلم يبقَ إلا الشيبُ فيها أو الردى

نهضتَ على الإحسان فيها ولم تقم ... وعيشـــك إلا وهى تُزعِجُ مَقْـعَدا

تزوجتَها أيّامَ تُنكَحُ لـــذّةً ... وسرَّحتَ إذ كان النكاحُ تمـرُّدا

وخلَّفتَها قاعا يغـــرُّ سرابُها ... يَدَىْ[3] حافرٍ لم يُسْقَ منها سوى الكُدَا[4]

قليـــلِ اطلاعٍ فى العواقب لو درى ... مشـــقَّةَ ما فى مَصـــدرٍ ما تورَّدا

تَلبَّسَها جهـــلا بأنك لم تكن ... لتـنزِعَها لو كنتَ تنزِعُ ســـؤدُدا

تحـــدّثنى عنـــك الأمانى حكايةً ... بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى

وكم زائرٍ منّا حملتَ اقـــتراحَه ... مضى ساحبا رِجْلا وآب مقـــوَّدا

ومثـــلىَ لو دونى أتاك بنفســـه ... ذُنابَى[5] وولَّى عنـــك رأسا مســـوَّدا

عسى عزمةٌ أشوتْ فمثّلتَ كاتبا ... يقرطسُ أحيـانا فأمثُـلُ منشـــدا

وقائلةٍ : هـــل يدركُ الحظُّ قاعدًا ؟ ... فقلتُ لها : هل يقطعُ السيفُ مغمَدا !

سيلقَى بهـا "الكافى" عهودا وثيقةً ... لقـد زادها الإســـلامُ حقًّا وأكّدا

رضيتُ ـ وإن جدّ الجدوبُ[6] ـ تعفُّفا ... وعيشـا مع الوجه المصون مبـدَّدا

ومَيـلا بنفسى عن لُقـاء معاشِرٍ ... أحتُّهـم[7] صخـرا وأعصِرُ جلمـــدا

أرادوا بخـــلٍ أن يُذَمّوا فيُعـرَفوا ... خمولا ، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا

أعالج نفســا منهُـــمُ متقشـــعِرَّةً ... وأنفـا اذا شَمُّـوا المذلةَ أصـيدا

---

(١) الوقصاء : قصيرة العنق ، وفى الأصل "وقضاء" وهو تحريف . (٢) فى الاصل "معنّسة أفيك" وهو تحريف . (٣) فى الأصل "بذى" وهو تحريف . (٤) يقال : أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر . (٥) الذُّنابى : الذنَب . (٦) بالأصل "جَرّ" . (٧) حتّ : فرك وقشر .

هو المنقذى من شرك قومى و باعثى ... على الرشد أن أصغى دواى "محمدا" (١)
وتارك بيت النار (٢) يبكى شراره ... علىّ دمًا أن صار بيتى مسجدا
عليك بها وصّالة رحم الندى ... اذا اشتمل الشعرُ العقوقَ أو ارتدى
هجرنا لها اللفظ المثقل قربه ... الى السمع والمعنى العوانَ المردّدا
يُخالُ بها الراوى اذا قام منشدا ... بما ملك الإطراب قام مغرّدا
لكم "آلَ ابراهيم" نُهدى مدائحا ... وذمًّا الى أعدائكم وتهدُّدا
اذا عزّ مُلكٌ أن يدوم لمالكٍ ... وطال على ذى نعمة أن يُخلّدا
فلا تعدم الدنيا الوَساعُ مدبّرا ... يقوم بها منكم ولا الناسُ سيّدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ ... إن كان بخلٌ لديك أو جودُ
يشقى ويرضى بك الفؤادُ كما الـ ... ـطرفُ اذا ما رآك مسعودُ
يا غُصُنًا دهرُه الربيعُ فما ... يفترقُ الماءُ فيه والعودُ
فات بك الحسنُ أن تُحَدَّ ولا ... يدرى بما انحطّ عنك تحديدُ
قم حدّث الليلَ عن أواخره ... إن مَقامَ الصبوح مشهودُ
يا ظبيُ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد ... عَنَّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ
أما ترى الفِطرَ صائحا : نَوِرُوا ... حَلَّ حرامٌ وانحلّ معقودُ
والبدر يدعو بحاجبٍ حاجبٍ ... للعيد : بشرى هنالك العيدُ
ناسبق بها الشمسَ أختَها لها (٣) ... بقاؤها فى الزمان تخليدُ
صان اليهودىُّ خِدرَها أن يُفَضَّ الـ ... ـخاتمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

(١) يريد النبى صلى الله عليه وسلم . (٢) بيت النار : معبد المجوس . (٣) يكنى عن الخمر .

عَدَّ رجالا من قومه، لَهُـــمُ ... فى فضلها عنـــده أسانيـــدُ
سَنَّ له اللهـــوُ أن يعظّمَها ... فهى له فى الدنان معبـــودُ
حمـــراءُ، ما فازت الأكُفُّ به ... من لونها فى الخـــدود مردودُ
من فم إبريقها الى شَفة الـ ... ـكأس عمودُ الصباح ممـــدودُ
دِينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ ... ـليسَ متى حُدتَ عنـه مطرودُ
تغنَّم اليـــومَ من سرورك والسـ ... ـاعةَ، إن الزمان معـــدودُ
ما رام يدعوك الفتى مَرَحا ... والغصنُ فينانٌ والصِّبا رُودُ[1]
غدا بياضٌ، يا قاتـــل الله ما ... تنشقّ عنـه من بيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّـيبَ والسرورَ يدٌ ... ولا يتمُّ الـــثراءُ والجـــودُ
لا أُخلفَ المـالَ غيرُ متلفـــه ... إن الغـــنىَّ البخيـــلَ مكدودُ
يا راكبا لم تُلحُهُ هاجـــرةٌ ... ولا ترامت بشخصـه البيـــدُ،
ولم تَقُـــدْ حظَّـــه مخاطرةٌ ... تُنضَى اليهـا المهـــريَّةُ القُـودُ،
بين منـاه وبينـــه غرضُ الـ ... ـامى ســـدادٌ منـــه وتعضيدُ[2]،
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما ... يعـدَمُ فضـلٌ وأنت موجودُ
مَلَّكك المجـــدَ أنّ بابَك مفـ ... ـتوحٌ وبابَ الأرزاقِ مســـدودُ
يزدحم الناس فيـــه راجين را ... ضين، وحوضُ الكريم مورودُ
وأنَ عافيك — والمكلَّفُ مشـ ... ـنوءٌ — مُرادٌ لديـــك مودودُ
لا هـو فى الذلّ بالسـؤال ولا ... بالمنِّ فيما منتَ مكدودُ
يختلفُ النـــاس من كرامتـه ... عنـدك مَنْ قاصـدٌ ومقصودُ

---

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطب ما يكون وأرخصـه وهو هنا من المجاز .

(٢) التعضيد : ذهاب السهم شمالا و يمينا .

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ ... والحلمُ حتى يقالَ : جاموذُ

يُلبسك المدحُ كلَّ ضاحيةٍ ... من بطول الإخلاق تجديدُ

دُرُّ المعالى فيها بوصفك منـ ... ـظومٌ ووشيُ الألفاظ منضودُ

تَخْبُرُ منه ما أنت ناقده ... وأكثر الإنتقادِ تقليدُ

والشعر، ما لم توجدك آيتُهُ ... — إلا القوافى والوزنَ — مفقودُ

يتعبُ فيه الموفَّقون له ... وهو مع المُسْهلين موعود

بَقِيتَ منه لزائراتك بالـ ... ـثناءِ غيدا أكفاؤها الصِّيدُ

كلُّ فتاةٍ مَحْمُودُها يومَ تبـ ... ـنى الحظَّ إمَّا أنتَ مجدودُ

صديقُها أنتَ ، والحسود بها ... وبى على القرب منك مفؤودُ (١)

فى وجهه البشر حين يسمعها ... خسوفا وفى قلبه الأخاديدُ

يَطرَبُ منها للشىء يُحزِنُه ... وآسُ بكاءِ الحَمامِ تغريدُ

لا أجتاز عيدٌ إلا عبدك وإن ... أجزتَ أن تُطعَنَ المواعيدُ

* * *

وقال وكتب اليه أيضا يهنئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ ... فسيّانِ القرابةُ والبعادُ

عهودٌ يومَ "رامةَ" دارساتٌ ... كما يتناوب الطلَلَ العهادُ (٢)

وأيمان تضيعُ بها المعانى ... وتحفظها الأناملُ والعِدادُ

تطيرُ مع الخيانة كلَّ جنبٍ ... وحبّاتُ القلوبِ بها تصادُ

أمعترضٌ صدودُكِ "أمَّ سعدٍ" ... ببعض الشرِّ، أم خُلُقٌ وعادُ؟ (٣)

(١) فى الأصل "رلى" . (٢) العداد : الدأب . (٣) عاد جمع عادة .

وعـــذلٌ فيك أوجعَ نازلٌ بى ... أنا المـلـوعُ والعـذلُ العِـــدادُ (١)
وعبتِ وليس غيرُ الشيب شيئا ... أُذادُ له بعيبٍ أو أُكادُ
وما مـنّى البياضُ فتجرميني ... به ذنْبا ولا منـكِ السـوادُ
بأيمن ملتقى الماءين دارٌ ... لمـرتادِ الهـوى فيها مَرادُ
وقفتُ بها ومسعدون معى عليها ... ألا يا دارُ ما فعلتْ "سعادُ"؟
أقول لهـم أعلّلُ فيكِ شوقى : ... وشـيكا ينقـعُ الظمأَ الثمادُ (٢)
خذوا من يومكم لغـدٍ نصيبا ... من الأطلالِ، إنّ اليومَ زادُ
توقّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ ... فـداؤك من دوائك مستفادُ
يخـونى مكايده زمانى ... صَـفارِكَ (٣) لا أُحسُّ ولا أكادُ
وقـدرتُه اذا لم يُعطِ بخـلٌ ... وغايتـه اذا أعطى نَفادُ
فقـل لبنيه : لستُ إذًا أخاكم، ... بعـادٌ بيننا أبـدا بعـادُ
أعان الله مسـكينا رجاكم ... فإن رجاءَ مثلِكُمُ جهـادُ
رضـينا من قبائلكم ببيتٍ ... عمادُ المكرماتِ له عمادُ
بنى "عبدِ الرحيم" وكلُّ نفـسٍ ... يفـوت فبأسم نسـبتهم يُفادُ
أعِـدْ ذكرَ التحيّـة فى أناسٍ ... اذا بدءوا (٤) اليـك يدًا أعادوا
وقم واخطب بحمدك فى ربوعٍ ... وفـودُ المجـد عنها لا تُذادُ
وبتسعين يُورى الملكُ منهـم ... جباها، كلُّ واضحـةٍ زنادُ
رأوا حنطَ النفوس اذا تتيحوا ... — وقد نخل أخبا — بخلاً فخادوا

---

(١) العداد : اضطراب رجع الدين ، ويقال عاده الدين يعوده ، ويقال لما دام فيه هو عداده . (٢) الثماد : الماء القليل . (٣) صفارك أى عاب ضيك وملكك يبقى لا أحس . (٤) فى الأصل "أبدوا" .

فِـدًى للحسـنين فـتًى عُلاهم ... وناشرُها وقـد درَسـوا وبادوا (١)

دعيٌّ في السماح وليس منـه ... متى أعرف الندى بك "يا زِيادُ" (٢)

دع العلياءَ يَسـحَبُها عريقٌ ... بياضُـك يومَ نسبته سـوادُ

يطـولُ ركابَه إن قام فيها ... ويقصُر عن مقـلَّده النجادُ (٣)

أيا "ابن عليٍّ" أعتقلتك مـنّي ... يدٌ لم تـدرِ قبلك ما العَتادُ

عركتُ يدَ الخطوبِ وفي ضعفٌ ... فإنَّ وهنَّ أعباءٌ شِـدادُ

لذلك تُسـتزاد الشـمسُ نورا ... وحُبِّـيك الذي لا يُسـتزادُ

وحظُّك من جَنَى فكري ثناءٌ ... يطول، وطُولُه فيـك اقتصادُ

اذا الشيءُ المعادُ أمَـلَّ سمعا ... تَكرَّر وهـو طِيبًا يُستعادُ

فما خُطِبَتْ بأبلغَ منـه خافٌ ... ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضادُ (٤)

ألا لا تذكُرُ الدنيا بخـيرٍ ... فـتًى إلا وأنتَ به المـرادُ

اذا حاز امرؤ تأبيـدَ نجـلٍ ... أمدَّك من "أبي سعد" مِدادُ

شبيهُك، والعلا منها اكتساب ... ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ

وكنتَ البـدرَ تمَّ فزِيدَ نجما ... كما أوفَى بغُـرَّته الجـوادُ

فعشْ واذخرْه للعافين كنهفا ... وخـيرُ ذخيرةِ الجسم الفـؤادُ

* * *

وكتب اليه أيضا يهنئه بعيد الفطر ويتقاضاه حاجةً

أبالغور تشـتاقُ تلك النجودا؟ ... رميتَ بقلبك مرمًى بعيـدا

وفيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ ... يُذِلّ العزيزَ ويُضوِي (٥) الجليـدا

(١) يرى المتمعن أنه انتقل بفجأة مع النعمية الى غرض آخر ولعله تهكّم. (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب. (٣) النجاد: حمائل السيف. (٤) في الأصل "صاد". (٥) يضوي: يُضعِف.

أفى كلّ دارٍ تمـرُّ العهـودُ ... عليك ولم تاس منها العهـودا ؟
فـؤادٌ أسـيرٌ ولا يفتـدى ... وجفنٌ قتيـلُ البكا ليس يُودى (١)
سـهرنا "ببابـل" للنائمي ... ن عمّا نقاسى "بنجدٍ" رقـودا
من العربيّات شمسٌ تعـودُ ... بأحرارِ "فارسَ" مثلى عبيـدا
اذا قـومُها آفتخـروا بالوفا ... ءِ والجود ظنّتْ ترى البخلَ جودا
ولو أنهـم يحفظون الحِجا ... رَدّوا علىّ فـؤادا طـريدا
نعم جَمّـعَ الله يا من هَـوِيتُ ... وصَدّ، عليك الهوى والصـدودا
رنَتْ عينُـه ورأت مَقتَلى ... فـوقّعها ورمانى سـديدا
قـلوبُ الغوانى حديدٌ يقـالُ ... وقلبـك نارٌ تذيبُ الحـديدا (٩٦)
سأجرى مع الناس فى شوطهم ... فعـالا بغيضـا وقـولا وديدا
أُغَرّ بِشُـرٍ أتى فى الفعا ... ءِ لو تبـعَ الغيثُ تلك الرعـودا
ويُعجبنى الماء فى وجهـه ... وفى قلبـه النـارُ يُذكى وَقودا
مُريبون أوسـعهم حجّـةً ... وعذرا معى مَن يكون الحسـودا
وحادٍ (٢) فلستَ ترى المستريـ ... ـحَ فى الناس من لا تراه الوحيدا
وحازت سجايا آبن "عبد الرحيم" ... ثناءً كسؤدُده لن يَبيـدا
ومدحا اذا مات مجـدُ الرجا ... ل أعطى الذى سار فيـه الخلودا
تمهّدَ من "فارسٍ" ذِروةً ... تُحَطُّ "المجـرّة" عنها صعودا
مكانةَ لا تستفزّ العيـو ... بُ نخـرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا
تشـابَهَ عِـرقٌ وأغصـانُهُ ... كما بدئَ المجدُ فيهـم أُعيـدا
فعُـدَّ الكواكبَ منهـم بنينَ ... وعُدَّ الأهاضيبَ منهـم جدودا

(١) يودى : يُدفع دِيَتُه . (٢) وحادٍ : كن وحيدا .

سَعِدتُ بحبّك لو أنني ... لحظيَ منك رُزِقتُ السعودا
إلامَ توانٍ يُميتُ الوفاءَ ... وعندي ضمانٌ يَحُلُّ العقودا ؟
ونقصُ اهتمامٍ أُرَى مُكْرَهًا ... لجودك من أجله مستزيدا
أَمَا آن للعادة المرتضا ... ةِ من رحبِ صدرِك لي أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهي يذوبُ ... بها ثمنا لم يَرُعْني جمودا
أمانٍ صدرنَ بطانًا وعدنَ ... خمائصَ ممّا رَعَيْن الوعودا
الى الله محتَسِبًا (١) عنده ... بعثتُ هوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولةٌ ... فطاولْ زمانَك بيضًا وسُودا
ولا تبرحنَّ بشعري عليك ... عرائسُ يُجْلَيْنَ هيفًا وغيدا
تَخالُ اليمانيَّ حاك البرودَ ... اذا أنا قصّدتُ منها القصيدا
ولي كلَّ عيدٍ بها وقفةٌ ... أناشدُ عطفَك فيها نشيدا
تهانٍ يغصُّ التقاضي بها ... فهل أنا لا أتقاضاك عيدا ؟

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبي طالب بن أيوب يهنئه بعيد الفطر

أنا اليومَ ممّا تعهدين بعيدُ ... تُريدين مني والعَلاءُ يريدُ
طَوَى رَسَني عن قبضة الحبّ خالعا ... قُواه ، وقِدمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — ولياليَ اللهو بيضٌ — وهبتُهُ ... اليها ، وأيّام الكريهة سودُ
وهيفٌ رقاقٌ موضعَ الهَيْف (٢) فُتّني ... وهنَّ جسومٌ حلوةٌ وقدودُ
دعيني وخُلْقًا من سنيٍّ استفدتُه ... عزيزا فمعدودُ السنين مفيدُ

(١) في الأصل "مستحسبا" .
(٢) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهي هيفاء والجمع هيف .

ولا تحسبني صِبْغَ لونين في الهوى ... أنوبُ وتبدو فرصةٌ فأعودُ
ولا كامنا في الحيّ أنظرُ سِربَهُ ... على خدعة الأشراك كيف أصيدُ
وحَصّ غرابي يا ابنة القوم أجدلٌ(١) ... بصيرٌ بأوكار الشباب صَيودُ
أراكِ تَرَيْنِي ناقصا ونقيصتي ... ليالٍ وأيامٌ عليّ تزيدُ
لكلّ جديدٍ باعتراكِ لذّةٌ ... فما لكِ عفتِ الشيبَ وهو جديدُ
تأخّرتِ بالصمصامِ وهو مصمّم ... وخالفتِ رأيَ الرمح وهو سديدُ
متى ضنّتِ الدنيا عليّ فأبصرت ... لسانيَ فيها بالسؤالِ يجودُ(٢)
اذا كنتَ حرّا فاجتنبْ شهواتها ... فإن بنيها للزمان عبيدُ
وبِنْ في عيون الناس منهم مباعدا ... اذا اشتبهوا وآسلم وأنت وحيدُ
وقل بلسان الحظّ، إن خطيبَهُ ... بليغٌ ومَن أعيا عليه بليدُ:
اذا شئت أن تلقى الأنام معظّما ... فلا تلقهم إلا وأنت سعيدُ
ورُبَّ نجيبٍ "كابن أيوب" واحدٍ ... تراه مع الحالاتِ حيث تريدُ
صديق، وما يُغني صديقُك لم يُطِقْ ... قتيلا ولم يقرُب عليه بعيدُ؟
أعدُّ سجايا الأكرمين وتنقضي ... وأمُّ سجاياه الكرامِ ولودُ
اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِيَ العُلا: ... أعِد، والحديثُ المستحبُّ يعودُ
وصدّق وصفي — والمحبُّ بمعرِضٍ ... من الريب — آياتٌ عليه شهودُ (٤٧)
يدٌ في الندى ماءٌ، وقلب اذا التوتْ ... عليه حبالُ المشكلات حديدُ
ومخضوبة الأطرافِ لم تُنصِبِ العِشا ... عمدا، وكم أودى بهنّ عميدُ
قواطع أوصالِ البلاد سوائر ... وما ثار عن أخفافهنّ صعيدُ
اذا نارُ حربٍ أضرمتْ أو مكيدةٌ ... فهنّ لها وما احترقن وقودُ

(١) الأجدل : الصقر . (٢) في الأصل "مضى" .

وعلّمه أن يصنع الجدَ مَنبتٌ ... عريقٌ وبيتٌ فى السماء قعيدُ
وحامون بالرأى الجميع حِماهُمُ ... ووَفْرهُمُ عند الحقوق شريدُ
مطاعيمُ أرواحِ الشتاء(١) اذا طغت ... سواجرُ(٢) فى بيداتهم وركودُ
قيامٌ الى أضيافهم وعليهمُ ... ولكنّهم عند الملوك قُعودُ
سخا بهمُ أنّ السخاء شجاعةٌ ... وشجّعهم أنّ الشجاعةَ جودُ
وُقيتُ من الحسّاد فيك فكلّ من ... يَرَى ودّك الباقى علىّ حسودُ
يودّون ما أصفيتنى من مودّةٍ ... وما أصطفى من شكرها وأُجيدُ
لبعضهمُ من بعضهم متخلّصٌ ... وتأبَى غلولٌ بينهم وحقودُ
وعذراء مما آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى ... معقّلةٌ فى الخِدرِ وهى شرودُ
نجومُ سجاياك الصّباحُ اذا سرت ... قلائدُ فى أعناقها وعقودُ
اذا يومُ عيدٍ زفّها قام ناصبا ... لتجهيزِ أُخرى مثلها لك عيدُ
لها بعدما يفنَى الزمانُ وأهلُه ... بقاءٌ على أحسابكم وخلودُ

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنّئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُملان

إنّما تقومونَ كذا أو فاقعدوا ... ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ
نامَ على الهُونِ الذليلُ ودرَى ... جفنُ العزيزِ لِمَ بات يُسهَدُ

(١) يشير بذلك الى الذين يقال لهم : مطاعيم الريح فى العرب ، زعم آبن الأعرابىّ : أنهم أربعة أحدهم عم أبى مِحجن الثقفىّ ولم يسمّ الباقين ، وقال أبو الندى : هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عم أبى محجن ، وليد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب ، وفى المثل "أقرَى من مطاعيم الريح" . (٢) السواجر السيول تملأ كل شئ .

أخفُّكم سعيا الى سـودَده ... أحقُّكم بأن يقالَ : سـيِّدُ

عن تعبٍ أُورِدَ ساقُ أوّلا ... ومَسـحَتْ غرَّةَ سَـبَّاقٍ يدُ

لو شُرِّفَ الإنسـان وهو وادعُ[1] ... لقطعَ الصمصامُ وهـو مغمَدُ

هيهات أبصرتَ العـلاءَ وعشّوا ... عنـه فضـلّوا سُبلَه وتَجـدُّوا

يا عمـدةَ الملكِ وأىَّ شرفٍ ... طالَ ولم ترفعـه منكم عَمَـدُ ؟

لله هـذا اليومُ يوما أنجـز الـ ... ـهـمَّ به ما كان فيه يَعِـدُ

لما طَلعتَ البدرَ من ثَنيَّـةٍ ... تُجـلَى بها عينٌ وعَينٌ ترمَدُ

من شَفَقِ الشمسِ يُسَدَّى ثوبُها[2] ... وتُلحِمُ الجـوزاءَ أو تُعَـمَّدُ

دقَّ وجلَّ فهـو إن لامستَهُ ... سَبْطٌ وإن مارسته مُجعَّـدُ

متـوَّجا عمامـةً وإنما ... عمامةُ الفـارس تاجٌ يُعقَدُ

ممتطيا أتلـعَ[3] لـو حبستَهُ ... تحتـك قيل : قَدَنٌ[4] مُشيَّدُ

مناقـلا بأربع كأنّما ... يلاطم الجليـدَ منها جَلْمَـدُ

وقَّـرها خوفُك فهـو مطلَقٌ ... يَنقُلُها كأنّه مقيَّـدُ

خَفَّ بطبعٍ عِتقِـه وآده[5] ... ثِقـلُ الحُـلَى فمشـيُه تأوُّدُ[6]

مقـلَّدا مهنّـدا ما ضمَّـه ... قبلَك إلا خافـه مقـلَّدُ

أبيضَ[7] لا يعطيك عهدا مثـلُه ... اذا أخـوك حالَ عمّـا تَعهَدُ

اذا أدرعتَ فى الدجى فقَبَسٌ ... وإن توسّـدتَ الثرى فعضُـدُ

ما اعتدتَ كسبَ العزِّ إلا مَعَهُ ... والمـرء مَشّـاءٌ وما يُعـوِّدُ

---

(١) الوادع : الساكن المستقر ، وفى الأصـل " دارع " . (٢) فى الأصـل " يحلم " .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد ، ويريد به الفرس . (٤) القدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأود : الانحناء والانعطاف . (٧) الأبيض : السيف .

ما زال "فخر الملك" فى أمثالها ... يرشُدُ فى آرائه ويسعدُ
فكيف لا وأنت من فؤاده ... عزًّا وعينيه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى ... فيك بُراقٌ بالمنى مزودُ(١)
أنت الذى جمعتنى من معشرٍ ... شملُ العلاء بينهم مبدَّدُ
كأننى آخذُ ما أُعطيهُمُ ... من مِدَحى اذا نطقتُ أُنشِدُ
أبحتَنِى مجدَك إذ أرحتنى ... ممّن أذمُّ منهُمُ وأحمَدُ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتَك لمّا لم تكن مُسعِدا ... أو مصلحا لم تكن المفسدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى ... ظنِّى، فكثَّرتَ عديدَ العدا
وشَى وقد قدَّمتَهُ رائدا، ... لا تبعث الظالمة مسترشدا
يسومنى الغدرَ بعهد "اللِّوى" ... ما حقُّ من يغدِرُ أن يَعهَدا
غيرى أبو الألوانِ فى حبِّه ... يشكو الهوى اليومَ ويسلو غدا
أصبو الى "طَيْبةَ" من "بابلٍ" ... ما أقربَ الشوقَ وما أبعدا
يا فارسَ "الغيداء" يبغى "مِنًى" ... بلِّغْ — بلغتَ الرشأَ الأغيدا — :
يا حبذا الذكرى وإن أسهرتْ ... بعدك والدمعُ وإن أرمَدا
لا تأخذِ النَّفْرَ بتفريقنا ... فربّما عاد لنا موعِدا
"بالغور" دارٌ و"بنجدٍ" هوًى ... يا لهفَ من غار لمن أنجدا
ما كان سَلمِى يوم فارقتكم ... يا "سَلْمَ" منّى حاملا أجلدا
سجيّةٌ فى الصبر عوَّدتُها ... قلبِى والقلبُ وما عُوِّدا

(١) فى الأصل "ومَزيدُ" ولعله تحريف .

لم تُدنِنى الأيامُ من عدلها ... قـطّ فألقى الجـورَ مستبعَدا
وإنما يُنكِرُ من عيشـه ... أنكدَهُ مَنْ عَرَفَ الأرغـدا
حـوادثٌ أعجبُ من كرِّها ... أن أتّقيها وأن أحسَـدا
ليتَ بنى الدنيا التى لا تَرَى ... لى نسـبا منها ولا مَـولدا
كفّتهمُ عنّى أو ليتهـم ... كانوا جميعا "للحسين" الفدى
للقمرِ الفـردِ وهـل مالكٌ ... فى الأفق غيرُ البدرِ أن يُفرَدا
لا يَحسَبُ الطيّبَ من ماله ... ما لم يكن معـترضا للجَـدَا
وكان أغنى حسبا عنـدهمُ ... من لم يزل أفقـرَ منهـم يدا
والأبيض الرأى اذا ما شكا ... خابطُ ليـلٍ رأيَهُ الأسـوَدا
وفارس القَـولةِ لم يَسـتقمْ ... فى ظهـرها الفارسُ إلا آرتدى (١)
وسالك الخطبِ وقـد أظلمتْ ... مَحجّـةٌ بالنجـم لا تُهتَـدى
ما شِـيمَ منكم صارمٌ مغمدٌ ... إلا وأمضى منـه ما جُـرِّدا (٢)
ولا قَضَى اللهُ عـلى سـيّد ... قضاءَهُ إلا آجتبَى سـيّدا
إن بدأوا تمّم أو نقصُـوا ... أنعمَ أو حطُّوا عُـلًا شـيّدا
كأنه أُرضِعَ ثـدىَ النُّهى ... أو شاب من حُنكتِه أمردا
لا عاقَ أنـوارَك يا بدرَهُـمْ ... ما يَنقُصُ البـدرَ اذا زُيِّدا
ولا أغبّتكم (٣) عـلى عادِهـا ... ـ ما أفطرَ الصـائمُ أو عيّدا ـ
بواكرٌ من مِـدَحى تَقتَفِى ... فى صونِهـا آثاركم فى النـدى

---

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يتصدى لتقويم ما يتصيده غيره بسيفه ، أو لعله محرف عن

وفارس الجولةِ لم يسـتقمْ ... فى ظهرها المعروفُ إلا ردَى

بمعنى ردى : سقط . (٢) فى الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجاوعلى الألباب أحسابكم بواديًا فى حانيها عُودًا
تبقى على الدهر وساعَ الخُطا فى جَوْبها الأرضَ طِوالَ المدى
يزيدها ترديدُها جِدَّةً ويُخلِقُ القولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّة الى أبى الحسن محمد بن الحسن الهُمَانىّ، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه، وكتب اليه كتابا منصفا يستوفى معانىَ الاعتذار والتشوق، فأخّر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة، واتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنّئه بالعيد

لا تَلمسُ الشمسَ يدُ فما يَرُدُّ الحسَدُ ؟
ما لُريدٍ حسنِها إلا الأسى والكمدُ
يَفْنَى نزولا ولها علاؤها والخُلُدُ
أرى نفوسا ضَلَّةً تَنشُدُ ما لا تَجِدُ
تحسَب بالكسب العلا ءَ والعلاءُ مُولَدُ
أفضَحُها مفنَّدٌ لو سدّ غيظا فَنَدُ
وكلّ قلبٍ قُرحة يشِفُّ عنه الجسدُ
أبرُدُه بعَذلى لو أن نارا تَبرُدُ
هيهات من دوائها وداؤها "محمّدُ"
فات على أطماعِه حمى العيون الفرقدُ
شَوَّقها لحاقُه جَهلُ الحظوظِ المسعِدُ
ونِعمَ نابتةٌ(١) مع الربيع جُدِّدُ

(١) فى الأصل "تأتيه".

حـــدِّثهـا أضغاثُهـا (١) هذا السرابُ المُوقَـــدُ
والصبحُ فى تكذيبها إن بلغوه الموعـــدُ
يا حاســدى "محمّدٍ" لا تطلبوه وآحسُـدوا
شريعـةٌ مـــورودةٌ لو أصـدَرتْ مَنْ يَرِدُ
منّكمُ جـدودُكم أنّ السبيلَ جِدَدُ (٢)
تتكّبوا فإنما على الطريق الأســـدُ
أغيـدُ لا يُنجِى الرقا بَ من يديه الجَيِّدُ (٣)
أوفَى عـــلى مَرقَبِـه لكفّه ما يرصُـــدُ
أزبُّ (٤) ما مِن قِـــرَّةٍ (٥) خِيطت عليـــه اللِّبدُ (٦)
اذا غـــدا لسفرٍ أقســـمَ لا يُـــزَوَّدُ
النـاجياتُ عنـــده وذيَّـــةٌ (٧) ونَقَـــدُ
قد قلتُ لمّا أجمعوا وأنت عنهـــم مفردُ
تخبِـــطُ عشواؤهُمُ : ما فعـــل المُقَـــوَّدُ (٨) ؟
البـــدرُ فى أمثالها حنادسـا يُفتقَـــدُ
ضاع بياضُ نارِكم والليلُ بعـــدُ أَسْوَدُ
أكرمُكم أحقُّكم بأن يقالَ : سـيِّدُ
دلَّ عـــلى آياته فما لنـا نُقـــلِّدُ

---

(١) الأضغاث جمع ضِغثٍ وهو ما اختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته . (٢) الجَدَد : الأرض الغليظة المستوية . (٣) الجَيِّد : طول الجيد وحسنه . (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه . (٥) القِرّة : البرد . (٦) اللبد جمع لبدة وهى كل شعر أو صوف متلبّد . (٧) الوذيّة : الحقيرة . (٨) المقوَّد : الذى يقود الدابّة .

وناقصُ الشِّكة مضـ (١) ـعوف الحشا معودُ (٢)
صمّ القنا الصّلاب من خَـوَرٍ تقصّـدُ (٣)
يطـوطـا شـوارعا وهـو لَقًى موسّـدُ
إذ الكمالُ كلُّه فى جسـد يحـدّدُ
ما تـلـد الأرضُ كذا والأرضُ بعـدُ تلِدُ
قل لبـنى الآراب (٤) نجـ ـفى والمـنى تُشرّدُ
والحاج يُلـقى دونه ـنَ القِمـرُ المُزيّدُ (٥)
الكوفةَ الكوفةَ يا مغـوّرُ يا منجـدُ
ما النـاس إلا رجـلٌ والأرض إلا بـلدُ
مَن راكبٌ مُربعـةٌ (٦) تمّ عليها العُـددُ؟
موضوعةَ الرحـل تُلمّس حَكْمُها (٧) وتـردُ
يَمُـدُّ قِيـد الرمح ظـ ـلًا قصـرُها المشـيّدُ
تحمـله مُخِفّـةٌ ولو علاها "أُحُـدُ"
تَخِـدّ فى الصخر ملا طِمٌ (٨) عليها تَخِـدُ
عَجْلَى اذا ما الساق صا دت ما تُثيرُ العَضْـدُ
لم يدر لحـظٌ ضابطٍ ما رجلُها وما اليـدُ
بلِّغ — بلغتَ راشـدا تسرى ويحمدو مُرشدُ —:

(١) الشكة : السلاح . (٢) المعود : المسن من قولهم عود البعير أى صار عودا .
(٣) تقصد : تتكسر نصلا أى فلقا . (٤) فى الأصل "الآداب" . (٥) القمر المزيد : البخيل الذى يزيد ماله أى يثمره . (٦) المربعة : من ذوات الخف التى دخلت فى السنة السابعة .
(٧) الحكم وضع الحكمة فى فم الدابة وهى ما أحاط بحنكى الدابة من حديد وفيها العذاران . (٨) طم : لاطم : جمع لطم وهو الخد وفى الأصل "طلاطيم" .

شـــوقا يقُضُّ[1] نَبلُهُ الـ ـأَضـــلاعَ وهى زَرَدُ
دام عـــلى حصاة قلـ ـبى ويذوب الجلمـدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يُحِسّ المُوقِـدُ
كم يُسعِد الصبرُ تُرَى؟ بعـــدك خان المسعِدُ
على مَن الفضلُ — وقد فارقتَـــه — يعتمِدُ؟
يا طولَ ذمّى للنوى، هـل من لقاءٍ يُحمَـدُ؟
متى؟ فقد طال المدى، لكلّ شىء أمـــدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُهـا لا تُجحَـــدُ
لو كُتِمتْ تطلّعتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـــدادَ رحلةٍ أصيب فيها المقصِـدُ
رمَتَ منهـا ثُلَمًا[2] ما خلتُهـا تُســـتدُّ
علّك من مطلِّى بالـ ـشكر عليها تَجـــدُ
ما كان تقصيرا، فهـل يقتصـر المجتهـــدُ؟
لكنّهـا عارفـــةٌ من الثناء أزيـدُ
أفســـدنى إفراطُها، بعضُ العطاء يُفسِـدُ
والجود ما أسرفَ والـ ـإمساك فيـــه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ[3] فاسمع لها أجـــدَّدُ
تأتيك بشرى ما تسو د أبـــدا وتســـعَدُ
وما تصوم مُرضِـــيًا بقـــاك أو تُعيِّـــدُ

(١) يقضّ: يدقّ. وفى الأصلى "ينضّ".
(٢) الثلم جمع ثُلمة وهى فرجة المكسور والمهدوم.
(٣) المُسكة: ما يُتمسّك به.

سنينَ لا يضبطهـ ـنّ فى الحساب عَـدَدُ
ـن عاقبى دهرٌ أقـ ـمُ أبـداً ويُقـعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِـدُ
فربّما قمتُ غـدًا، إنّ أخا اليـوم غـدُ

* * *

قال وقد وثى الشريف الرضىّ رضوان الله عليه بالقصيدة اليمّية، وسُقت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضىَّ بالفضل فى حياته أن يُرثَى بمثلها فى وفاته، ونسبه قومٌ الى السرف فيما ادّعى له ولنفسه من الحاق به وشدّة الأنس معه، حبّاً لأن تضاف بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا فى غرضه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا فى ذلك، وكان فيهم مَن رثاه بما ظاهرُه التأسّى، وباطنه الشماتة، بشِعرٍ لا يسرُّ سامعاً، ولا يملك فَهماً، فأسَف لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقدر على قوله، وعمل هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوّح بذكرهم، ويزيد فى غيظهم

أقـريشُ، لا لفمٍ أراك ولا يدٍ ... فتوا كلى، غاض الندَى وخلا الندِى (١)
خواستِ، فالتفتى بأوقصَ، (٢) واسئلى ... من بزّ ظهرَك، وانظرى من أرمدِ (٣)
وهى الذُّحولُ (٤) فلستِ رائدَ حاجةٍ ... تُقضَى بمطـرورٍ (٥) ولا بمهنّـدِ
خلّاكِ ذو الحسبين أنقاضاً متى (٦) ... تُجذَبْ على حبـل المذلّة تنقـدِ
قَـسرُ الدُّنا أضحت سمـاؤكِ بعده ... أرضـاً تداسُ بحـافرٍ وبمقتـدى
فاذا تشـادقت الخصـومُ فلجلجى ... واذا تصـادمت الكماةُ فعـرّدى

(١) يقال توا كل القوم: اتكل بعضهم على بعض، والندىّ: الجادى. (٢) الأوقص: العنق القصير. (٣) الأرمد: الذى به رمد. (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد. (٥) المطرور: المحدّد ويريد به سنان الرمح. (٦) الأنقاض جمع نِقْض وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا.

يا ناشـدَ الحسـناتِ طوّفَ فاليا[1] عنهـا وعادَ كأنه لم يَنشُـدِ
اهبِط الى "مُضَرٍ" فسلْ "حمراءَها": مَن صاحَ "بالبطحاء": يا نارُ آحمدي ؟
بَكَرَ النعيُّ فقال : أُردِيَ خـيرُها، إن كان يصدُقُ "فالرضيُّ" هو الرَّدِي[2]
عادت أراكةُ "هاشمٍ" من بعده خَـوَرا لفأسِ الحاطبِ المتـوقِّدِ
بُقِعتْ بمعجـزِ آيةٍ مشـهودةٍ ولربَّ آياتٍ لها لم تُشـهَدِ
كانت اذا هي فى الإمامةِ نوزعتْ ثم ٱدعت بك حقَّها لم تُجحَـدِ
رَضِيَ المـوافقُ والمخالفُ رغبـةً بك وٱقتدى الغاوى برأى المرشـدِ
ما أحرزت قصـباتِها وتراهنتْ إلا ظهرتَ بفضلةٍ من سؤدُدِ
تَبِعتْـكَ عاقدةً عليـك أمورَها وعُرَى تميمك[3] بعـدُ لمّـا تُعـقَدِ
ورآكَ طفلا شِيبُهـا وكهولُها فتزحزحوا لك عن مكان السيِّدِ
أنفقتَ عمـرَك ضائعا فى حفظِها وعققت عيشَك فى صلاح المفسِدِ
كالنار للسارى الهدايةُ والقِـرَى من ضوئِهـا ودخانُهـا للمُوقِـدِ
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُه وتُنـاط منـه بقارحٍ متعوِّدِ؟
ألف التطوّح[4] فهـو ما هـددته يفرى فيافى البيـدِ غـيرَ مهدَّدِ
يطوى المياهَ على الظما وكأنه عنهـا يَضِـلّ، وإنّه لَلْمهتـدى
صُلُبُ الحصـاة يثورُ[5] غـير مودَّعٍ عن أهله ويسـير غير مزوَّدِ
عُدِلتْ جَوِيَّتُه[6] على ٱبنِ مفازةٍ مستقرِبٍ أَمَمَ[7] الطريق الأبعـدِ
يجرى عـلى أثَرِ الدَّرابِ[8] كأنه يمشى على صَرْحٍ بهنّ مُمـرَّدِ[9]

(١) فاليا : باحثا . (٢) الرَّدِى : الهالك . (٣) التميم : جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبى آتقاءً من العين . (٤) فى الأصل "التطرح" . (٥) فى الأصل "ينور" . (٦) الجوية : الأرض غير الموافقة . (٧) الأمم : القريب . (٨) الدراب جمع دَرْب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل : "الضراب" . (٩) المُمَرَّد : المطوَّل الملَّس .

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهْيَط ... وربا الهضاب بمثلها من مَصْعَد

قَرِّبْ، قُربتَ من التلاع فإنها ... "أُمّ المناسك" منهُا لم يُقْصَد

دأبا به حتى تُريحَ "بيثرب" ... فتنيخَه نِقْضًا(١) بباب المسجد

وأحثُّ التراب على شحوبك حاسرا ... وأنزِلْ فمزَّ "محمدا" "بمحمّد"

وقل : انطوى حتّى كأنك لم تلدْ ... منه الهدى وكأنّه لم يولَد

نزلت بأقتمَ المضاعة فى أبنـ ... ـاك العقيقرِ المُزْبِد(٢)

طرقَتْه تأخذُ ما اصطفتْه ولا ترى ... مكرا وتقتلُ من تحتّه ولا تَدِى(٣)

تشكو اليك وقود جاحمها وإن ... كانت تحصّك بالمُلِظّ(٤) المكمد

بكت السماءُ له ووذت أنها ... فقدت غزالتها ولمّا يُفقد

والأرضُ وابن الحاج سُدّتْ سُبْلُهُ ... والمجدُ ضيم فما له من مُنجِد

وبكاك يومُك إذ جرتْ أخبارُه ... تَرَحا وسُمِّىَ بالعبوس الأنكد

صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ فجره ... يا للعيون من الصباح الأسود

إن تُمسِ بعد تزاحم الغاشين مه ... جورا بمطرحة الغريب المُفرَد

فالدهرُ الأمُّ ما علمتَ وأهلُه ... من أن تروحَ عشيرهم أو تغتدى

ولئن عُمِّرت من الزمان بلِيّنٍ ... عن عَجْم مثلك أو عُضضت بأدرد

فالسيفُ يأخذُ حُكمَه من مِغفَر(٥) ... وطُلًى(٦) ويأخذُ منه سِنُّ المبرد

لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ ... لكن أصابك منه مجنونُ اليد

قد كان لى بطريف مجدك سلوةٌ ... عن سالفٍ من مجد قومك مُتْلِد

---

(١) النِّقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا . (٢) العقيقر المزبد : الداهية الشديدة .

(٣) ولا ترى : ولا تضمر نارها أى أنها تطرق فى الظلام . (٤) الملظّ : الملازم ، ويريد به الحزن .

(٥) المغفر : خوذة من الزرد تقى الرأس . (٦) الطلى : الأعناق .

فكأنكم — ومدًى بعيدٌ بينكم — يومَ افتقدتُكَ زُلتُمُ عن مَوعِـــدِ
يا مثكلا أمَّ الفضـائلِ[1] مُـورثا يُتمًا[2] بنـاتِ القاطناتِ الشُّـرَّدِ[3]
خلّفتَهنَّ بما رضيتَ ناظما ما بين كلِّ مُرَجِّزٍ ومُقَصِّـدِ
فُتِحتْ بهنّ — وقد عدمتُكَ ناقدا — أفـواهُ زائفـةِ[4] اللُّهى لم تُنقَـدِ
ورُثيتَ حتّى لو فرقتَ مميِّزا راثيك من هاجيك لم تَستَبعِدِ
غادرتنى فيهـم بما أبنضتُهُ أدعو البيوعَ الى متاعٍ مُكسَدِ
أشكو انفـراد الواحدِ السارى بلا أُنسٍ و إن أحرزتُ سَبقَ الأوحدِ
واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنا عابوا عليك تفجُّعى وتـلدُّدى[5]
أحسنتُ فيك فساءهم تقصيرُهم ذَنْبُ المصيبِ الى المغـيرِ المُعضِدِ[6]
كانوا الصـديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا صلَّى الإلهُ على مكثِّرِ حُسَّدى
يغـترُّ فيك الشامتون وإنه يومٌ هُمُ رهنٌ عليـه الى غـدِ
وسيسبرونى كيف قطعُ مُجـرَّدى إن كان حَزَّ ولم يُعمِّقْ مُغمَدى
وتُثـير[7] عارمـةُ الرياح سحابتى من مُبرِقٍ فى فضلِ وصفك مُرعِدِ
فتنقّصْ بذكرِك فأرها فتفاوحت نعما تأرَّجُ لى بطيب المـولدِ
تزداد طولا ما اسـترحت فإننى أرثيك بعـدُ وحُرقتى لم تَـبرُدِ
ماء الأسى متصبب[8] لى لم يَغِضْ فى صحن خدَّ بالبكاء مُخَـدَّدِ
لو قـد رأيتَ مع الدموع جدوبَهُ — فرطَ الرفيرِ — عجبتَ للراوى الصَّدِى

---

(١) أم الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثية التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائقة" . (٥) التلدد : التحير . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الغور شمالا و يمينا . (٧) فى الأصل "تُسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتُثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غيّرتك جنائبُ[1] تحت البلى وكساك طِيبُ البيت طيبَ اللاحدِ
وقُربتَ، لا تَبعُدْ، وإن علالةً للنفس زورا قولتى لا تَبعُدِ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز وبعيد الفطر الذى اتفق معه، وبسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خاعة شتويّة أخّرها عنه

حاشاك من عاريّةٍ تُرَدُّ ابيضَّ ذاك الشَّعرُ المسودُّ
أشرفَ بازىّ على غرابه حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصدَّدٍ لو كان من هُجومه يُصَدُّ
وثالمٍ بلقطه ثَنيَّةً معروفةً من يومها تُسَدُّ
يصبغ سوداءَ ودون أخذه بيضاءُ تخفى تارة وتبدو
أخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْرِ[2] مذ لِيثَ[3] خمارٌ لِىَ مُستَجَدُّ
قلنَ[4] — وقد عتبتُ فى وثائق نقضَتْها[5] — : ما غادةٌ وعهدُ
نافَى بك الشيبُ بطالاتِ الصِّبا الليلُ هزلٌ والنهارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُهُ، قلنَ : فأينَ الماءُ والفِرِندُ ؟
كان قناةً فغدا حنيَّةً ظهرُك، ما القضيبُ إلا القَدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىّ مأثمٍ لم يتقلَّدْ منك ظلما "سعدُ" ؟
أهندُ قالت : ملَّنى، وحلفتْ ؟ تحلَّلى حالفةً يا "هندُ"
أمْنُكِ بين أضلعى جنايةٌ أعجبْ بها نارا خباها[6] زَنَدُ !

(١٠٢)

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خمار وهو مثل النقاب .
(٣) ليث : لُثَّ . (٤) فى الأصل "قلتُ" . (٥) فى الأصل "نقضتها" .
(٦) خباها لغةٌ فى خبأها .

وعدُكِ لم أُخْلِفْ[1] يومَ "بابلِ"؟ بل كان سحرا وآسمُـهُ لِي وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللسـانُ مَلَقًا دقًّا عليك أن يصحَّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفَظُه ومات مع أهـل الوفاء الودُّ
أُنْجُ ربيعَ العِرض وآقعدْ حَجْرةً[2] منفردا، إن الحسامَ فردُ
كم مستريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ وأنت فى تأميله تَكْدُّ
طالك بالمال ولو أريتَهُ صَونا رآك معَهُ تُعَدُّ
ماكنتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبدُ
ولو علمتُ رغبةً تسوق لى نفعا لخِفتُ أن يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخلاقَ الرجال فإذا بسَمحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهم بكلِّ رُقيةٍ تلين والأيدى معى تَشْتَدُّ
لم يُعِينى فضلُ أداريهم به وإنما أعيا علىّ الجَدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ غَرَّ فِىَّ وقلتُ : ماءٌ عِدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عُنُق غُلٌّ ، وفيهم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً فاتت، وهل مِثْلٌ له أو نِدُّ ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجدَه مشمِّرٌ للمجدِ مستعِدُّ
غَلَّسَ فى إثر العلا وأشمسوا بفِناء قبلا والنجومُ بَعدُ
ومن بنى "عبد الرحيم" قَمَرٌ كلُّ لياليه تَمامٌ سعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفَت طاهرةً أطيبُ ممّا ضمّ منه البُرْدُ
لابنِهُ لا تُلِفِ القضيبَ عاسيًا[3] وآصعُبْ يزاحمْك ثقيلا "أُحُدُ"

(١) فى الأصل "خالف" . (٢) حَجرة : ناحية . (٣) عاسيا : يابسا .

من المحامين على أحسابهم ... بمالهم، فالفقرُ فيهم مجدُ

لا يتمنّون على حظوظهم ... أن يَجِدُوا دنيا اذا لم يُجدُوا

سخوا ولم تَبْنِ عليهم "طيّءٌ" ... وفصُحوا ولم تلدهم "نَجْدُ"

كانوا الخيارَ وفَرَعَتْ زائدا، ... والنارُ تعلو وأبوها الزَّندُ!

يا مؤنسى بقربه سلْ وحشتى ... بعدَك: ما جرّ علىّ البُعدُ!

أكلَّ يومٍ للفراق فيكمُ ... تعمّدٌ[1] يسوءنى أو قصدُ؟

ما بين أن يَخبُرنى[2] لقاؤكم ... حتى النوى فنعمةٌ وجهدُ

وكيف لا وأنتمُ فى نُوَبى ... يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعضدُ

ريشُ جَناحى بكمُ مُضاعَفٌ ... وحبلُ باعِى منكمُ ممتدُّ

كم تحملون كُلفتى ثقيلةً ... كأنّ حملى ليس منه بُدُّ

مبتسمين والثرى معبّسٌ ... بيضَ الوجوهِ والخطوبُ رُبَّدُ

قد فضلتنى سَرَفا ألطافُكم ... فحسبكم! لكلّ شىءٍ حَدُّ

أبقُوا علىّ إنما إبقاؤكم ... ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ

مِشيبُكمُ والنُّصَفاءُ منكمُ ... والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ

فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها ... بُتُرٌ[3] وأجفانُ الليالى رُمَّدُ

أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا ... ثوبا من النَّعماء يستجدُّ

يزورك الشِّعرُ به فى مَعرَضٍ ... منشِده يُحسَبُ طِيبًا يشدو

وربما أذكرُ ما أنساكَ من ... رمى اتّفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ

سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلّفتَهُ ... مجرّدًا ليس عليه غِمدُ؟

---

(١) فى الأصل "تعمّدٌ". (٢) يخبرنى: يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (٣) بُتُرٌ جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل "تترا".

وكيف طِبتَ أن يُرَى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أُسْدُ
يحتشِمُ النيروزُ من إطلاله (١) والمهرجانُ يقتضيكَ بعدُ

* * *

واتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيوبَ سَفْرةٌ الى سُرَّ مَنْ رَأَى وما يجاورها من البلاد لطفوةٍ لحقت الجَنَبَةَ (٢) التى يتعلّق بها ، ومات أخوه وهو غائبٌ ، ولحقته قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجّع له فيها فكتب اليه

خليلُكَ مَن صفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أذمَّ على الودادِ
وحظُّك من صديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصىَّ العِرق فيه سلوٌّ عن أخيك من الوِلادِ
فلا تغررْك ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنَّ أكبادُ صَوادى
وعِش إمَّا قرين أخٍ وفىٍّ أمينِ الغيب أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعدَ تجريبى لأمرٍ أنستُ ـ ولا أغشُّك ـ بانفرادى
تريدُ خلائقُ الأيّام مَكرا (٣) لتُغضبنى على خُلُقى وعادى
وتغمزنى الخطوبُ تظنُّ أنى ألينُ على عرائكها الشِّدادِ
وما "شهلانُ" تشرف قُتّاه بأحمَلَ للنوائب من فؤادى
تغرَّبُ فى تقلُّبها الليالى علىّ بكلّ طارقةٍ (٤) نآدِ
اذا قلتُ : اكتفت منى وكفَّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِدادِ
رعَى سِمَنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صديقٍ ويوما فى الذخيرة من تِلادى

(١) الإطلال : إعدار الدم . (٢) الجنبة : الناحية . (٣) فى الأصل : "لتعصبنى" .
(٤) النآد : الداهية .

يذمُّ النـومَ دون الحرص قومٌ ... وقلتُ لرقدتى عنه : حَمادِ[1]

وما كان الغِنَى إلا يسيرا ... لو أنّ الرزقَ يبعثه اجتهادى

وضاحكةٍ الى شعرٍ غريبٍ ... شُكِكتُ به فأسلس من قيادى

تَعُدُّ سِنِيَّ تعجبُ من بياضى ... وأعجبُ منه لو علمتْ سوادى !

أمانٍ كلَّ يومٍ فى انتقاصٍ ... يساوقهنَّ همٌّ فى ازديادِ

وفُرقةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا ... به قَلَقُ المدامعِ والوسادِ

تُخفِّضُ بعدَ الأيّامُ صوتى ... على لَسَنِى[2] وتخفضُ من عمادى

وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى ... وكنتُ بقربه وارى الزنادِ

أقيمُ ولم أقُمْ عنه لِحُسْلٍ ... ويرحلُ لم يسِرْ منّى بزادِ

كأنّا إذ خُلقنا للتصافى ... خُلقنا للقطيعة والبعادِ

أرى قلبى يطيش اذا المطايا ... الى الرايين ياسَرهنَّ حادِى

ولم أحسب "دُجَيلا"[3] من مياهى ... ولا أنّ "المَطيرة"[4] من بلادى

ولا أنى أبيت دعاى يحدو ... الى "تكريتَ"[5] سارية الغوادى

ومن صُعَداء أنفاسى شِرار ... تمرُّ مع الجَنوب بها تنادى :

أأحبابى أثار البينَ بينى ... وبينكمُ مساخطةُ الأعادى

سقت أخلاقُكم[6] عهدى لديكم ... فهنَّ به أبرُّ من العِهادِ

وردَّ علىَّ عندكمُ زمانٌ ... مجودُ الروض مشكورُ الغوادِ

أصابت طيبَ عيشى فيه عينى ... فقد جازيتُها هجرَ الرقادِ

---

(١) يقال حَمَدَ له كتَقَطَّم بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهر . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد وسامراء . (٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل "أخلاقكم".

فلا تحسب ـ وضنُّك فىّ خيرا ـ بقاىَ ـ وأنت ناءٍ ـ من مُرادى
ولا أنّى يسُرُّ سـوادَ عينى بما عُوِّضتُ من هـذا السوادِ
وكيف وما تَلِفُّ المجدَ دارٌ تأتْك، ولا يَضُمُّ الفضلَ نادى
فإن أصبرْ ـ ولم أصبر رُجوعا الى جَلَدٍ(١) ولم أحمل بآدِ ـ
فقد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ
وكنتُ، وبيننا إن طال ميلٌ وإما عرضُ "دجلة" وهى وادى ؛
اذا راوحتُ دارَك لجَّ شوقى فلم يُقنِعه إلا أن أُغادى
فكيف وبيننا للأرض فَوْجٌ يماطِل طُولُه(٢) عَنَقَ الجيادِ!
ومعترَضُ "الجزيرة" والخوافى من "القاطول"(٣) تلمع والبوادى
وُفودٌ من مطايا الماءِ(٤) سودٌ ، روادفُها تطول على الهوادى
اذا كنّ الليالى مقمراتٍ فراكبُهنّ يخبطُ فى الدّآدى(٥)
لهنّ من الرياح الهوجِ حادٍ ومن خُلُجِ(٦) المياه العوجِ هادِى
اذا قمصت على الأمواجِ خِلتْ على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى
فهل لى أن أراك وأن ترانى وهل من عُدّتى هى أو عَتادى ؟ ١٠٤
سأنتظر الزمانَ لها ويوما يطيل يدَ الصديق على المعادى
ظمئنا بعدكم أسفا وشوقا كما جِيدتْ(٧) بكم يُؤسُ البلادِ
لعل "محمدا" ذكرتْه نُعمَى ترانى ناسيا فيه اعتقادى

(١) الآد : القوة ، وفى الأصل "آدِ" . (٢) العنق : ضرب من ضروب السير ،
(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد وبنى على فوهته قصرا وسماه "أبا الجند" لكثرة ما كان يسق من الأرضين وجعله لأرزاق جنده . (٤) مطايا الماء : السفن .
(٥) الدآدى جمع دأداة وهى آخر ليالى الشهر المظلمة وقد تقدمت . (٦) خلج جمع خليج .
(٧) جيدت : أصابها مطر جَوْدٌ .

وعـــل الله يجبُرُ بالتـــدانى كسيرةَ قانِطٍ، حَسْبُ التمـادى
وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيـه على الله آعتمادُك وآعتمادى
فلا تعدَم ـ ولا يعدَمْك ـ خلّا متى ما تعْـدُهُ عنك العـوادى
يُزِرْك كرائماً متكفّلاتٍ بجمع الأُنس قيـل له : بَدادِ[1]
نواحبَ[2] فى التعـازى والتشاكى حبائبَ للتهـانى والتهـادى
طوالعَ فى ســوادِ الهم بيضًـا طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى
اذا جرَّتْ ذلاذلهـا "بجـوٌ" تضوّع حاضرٌ منـه وبادى
لها فعلُ الدروع عليك صونا وفى الأعداء أفعـالُ الصِّعادِ
ربَتْ يا "آلَ أيّوبٍ" وأنّت[3] رُباىَ بكم على السَّنَةِ الجمـادِ
فهـل رجلٌ يذُلُّ اذا عَدِمتم على رجلٍ وفىّ أو جـوادِ
ومَن أخذَ المحاسنَ عن سـواكم كمن أخذَ المناسبَ عن "زيادِ"

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليـل أبى سعد محمـد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم آبن عبد الرحيم يهنئه فى النيروز وهى أول ما عمل فيه

سلمتَ ـ وما الديارُ بسالمـاتٍ ـ على عنَت البلى يا دارَ "هند"
ولا برحتْ مفوّقةُ الغـوادى تُصيب ربالك من خَطَإٍ وعمـدِ
بموقظـةِ الثرى والتربُ هادٍ[4] ومُجـديةِ الحيا والعـامُ مُكدى
على أنى متى مطـرَتْك عينى فمفضلٌ ما سقالكِ الغيثُ بعدى
أميـلُ اليك بجـذبتى فـؤادى وغيرُك ـ ما آستقام السيرُ ـ قصدى

---

(١) بداد كقطام بمعنى تبدّد. (٢) فى الأصل "نوائب". (٣) أنّت : كثر نباتها وآلتفّ.
(٤) يريد "هادى" بمعنى ساكن.

وأُشفق أن تبـدّلك المطايا بوطأتهـا كأنّ ثراكِ خـدّى
أرى بكِ ما أراه فستعيرٌ حشاى وواجدٌ بالبين وجـدى
ولينكِ إذ نحلتِ نحولَ جسمى بقيتِ على النحول بقاءَ عهـدى
وما أهلوكِ يومَ خلوتِ منهم بأقلِ غـدرةٍ للدهر عنـدى
سـلى الأيام ما فعلت بأنسى وعيشٍ لى على "البيضاء" رغدِ
وفى الأحداج عن رشإ حبيبٍ على لونيـه من صِلةٍ وصدِّ
يماطلُ ثم يُنجـزُ كلَّ دَيْنٍ ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث فلو مُلِكَ الفـداءُ لكنتُ أفدى ،
تـنـاياه وفاه ولا أغالى بما فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألا مَن عائدٌ بياض يومٍ لعينى بين "أحناء" و"صمدِ"؟
وعينٍ "بالطُّويلع" بارزاتٍ على قسماتهنّ حياءُ "نجـدِ"؟
نظرنَ — فما غزالتُه؟ — بلحظٍ ومِسْنَ — فما أراكتُه؟ — بقدِّ
وبلهـاء الصِّبا تبغى سِقاطى اذا حلّاتها هزلتْ بجِـدّى
تَعدُّ سنىَّ تعجبُ من وقارى ولم يجـترْ مراحَ العمـر عدّى
فما للشَّيْب شـدَّ علىّ ركضا فطوّح بى ولم أبلغ أشُـدّى !

* * *

يعـيّرنى ولم أره شآنى ، (١) تنبـه حظُّه بخمـولِ جَـدّى
ووِدَّ على غضـارة حُلّتيـه (٢) مكانَ الرقع من أسمـال بُردى
وما ورقُ الغـنى المنفوضُ عنّى بمُعرٍ من حُسام المجـدِ عمـدى
حملتُ — وليس عن جَلَدٍ بقلبى — حُمولَةَ واسع الجنبين جَـلْدِ

(١) شآنى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة ، وفى الأصل "غضاضة" .

تبادهنى النوائب مستغزرا ... فأدفعها بعزمة مستعد
يزل الخوف عن سكنات قلبى ... زليل الماء عن صفحات جلمد
دع الدنيا ترف على بنيها ... وتجلب بالجفاء علىّ وحدى
وفر أموالهم تمو وتركو (١) ... فليس كنوزها ثمنا لحمدى
لعل حوائل الآمال فيهم ... تطرق من "أبى سعيد" بسعد
فتى عقدت تمائمه فطيما ... على أكرومة ووفاء عقد
وربته على خلق المعالى ... غرائز من أب علٍ وجد
فما مجت له أذن سؤالا ... ولا سمحت له شفة برد
اذا آخضرت بنان أب كريم ... فصبغتها الى الأبناء تعدى
تطاول للكمال فلم يفته ... على قرب الولاد مكان بعد
وتم فعلق الأبصار بدرا ... ولم يعلق له شعر بخد
رآه أبوه — وابن الليث شبل — ... لسدة ثغرة وهو ابن مهد
فقال لحاسديه : شقيتم بى ... وهذا ابنى به تشقون بعدى
جرى ولداته فمضى وكدوا ... لو ان الريح مدركة بكد
اذا سبروه عن عوصاء أدلى ... بها فنجا على غرر التحدى
دعوا درج الفضائل مزلقات ... لماض بالفضائل مستبد
وما حسد النجوم على المعالى ... — ولو ذاب الحصا حسدا — يجدى
"أبا سعيد" ولو عثروا بعيب ... مشوا فيه بحق أو تعدى
وقد تسرى العيوب على التصافى ... فكيف بها على حنق وحقد
ولكن فتهم فنجوت منهم ... نجاء اللحن بالخصم الألد

(١) فر : صن أو كثر .

وملّكك الفخارُ فلم تنازَع ... بقُلٍّ فى الندى ولا بحَشْد

أبٌ لك يُلحِمُ العلياءَ طولا ... وخالٌ فى عِراص المجد يُسدِى

ولم يعدِلْ أبا لك "يَعرُبِيًّا" ... زميلٌ مثلُ خالك فى "مَعَدّ"

جزيتُك عن وفائك لى ثناءً ... يودّ أخى مكانك فيه عندى

ولولا الودُّ عزّ عليك مدحى ... ولولا الفضلُ عزّ عليك ودّى

بنى "عبد الرحيم" بكم تعالت ... يدى وورى على الظلماء زَندى

وإن أودَى "بنيسابور" (١) قومى ... فجدُّكمُ من الأملاك جدّى

وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى ... اذا ما كان مجدُ القوم مجدى

تُفاعِينى (٢) لتُردِينى الليالى ... فأذكرُكم فتنهسُنى بدُرْد

وأزحَمُ فيكمُ نكباتِ دهرى ... بعصبةِ "غالبٍ" وبنى "الأشدّ"

لذلك، ماحبوتكمُ صفايا ... ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأُهدى

طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى ... بهنّ يبُدُّ غايةَ كلِّ جُهد

تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم ... مدَى عامين للسارى المُجِدّ

يَرِين (٣) ـ وبعدُ لم يُروَين ـ حسنا ... كأن سطورَهن وُشوعُ بُرْد

اذا رَوّت رجالَكمُ كُهولا ... سأرن (٤) لصبيةٍ منكم ومُرد

ولولاكم لما ظفرت بكفءٍ ... يَسُرُّ ولا سعت قدما لرشد

ولكن زفّها الأحرارُ منكم ... فما أشقيت حرّتها بعبد

فضلتم سؤددا وفضلتُ قولا ... فكلٌّ فى مداه بغير ندّ

بكم خُتم الندَى وبِىَ القوافى ... بقيتم وحدكم وبقيتُ وحدى

---

(١) فى الأصل "بنوسابور". (٢) تفاعينى: تداهنى كالأفعى. (٣) يرين: يضئن من رى الزند يرى. (٤) سأرن: أبقين من السؤر وهو البقية من الماء.

* * *

وكتب الى أبي الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين ، وقد انحدر الى واسط مستدعًى للنظر ، يتشوق أيام اجتماعه ، ويستوحش لبعده ، ويذكر ما يرجوه له من استقامة الأمر ، و بهنئه بعيد الفطر سنة ثلثي عشرة وأربعمائة

تَظُنُّ لِيَ الْبَيْنَ عَوْدًا على العهد من "بُرْقَتَيْ شَمَّدَا" ؟
وهل خبرُ الطيف من بعدهم اذا طاب يصدُقُكَ المَوْعِدا ؟
ويا صاحبي ، أين وجهُ الصباح ؟ وأين غدٌ ؟ صِفْ لعيني غدا
أسدُّوا مَسارحَ ليل "العرا ق" أم صبغوا بخُرَه أسودا
وخلفَ الضلوع زفيرٌ أبَى وقد بَرَدَ الليلُ أن يبردا
خليليَّ ، لي حاجةٌ ما أخفّ "برامةَ" لو حَمَلَتْ مُسعِدا
أريدُ لِتُكتَمَ وأبى الأوا لك يفضحُها كلما عَرَّدا
و "بالرمل" سارقةُ المقلتيـ ـن تكحُلُ أجفانُها اليَرْوَدا
اذا هُصِرتْ هُصِرتْ بانةً وإن سئلتْ سئلتْ جَلْمَدا
أُحِبّ وإن أخصبَ الحاضرون ببادية الرمل أن أَخْلُدا
وأهوى الظباءَ لأمّ البنيـ ـن تمشي الرشأَ الأغيدا
وعيناً يردنَ لصابِ (١) "الغوير" بأنقعَ من مائه للصدى
فليت — وشَيْبي بحامِ (٢) العذارِ — زمانَ "الغضا" عاد لي أمردا
ويا قلبُ قبلكَ ضلَّ القلو بُ لو كنت أملك أن تُنشدا

(١) لصاب جمع لصب وهو مضيق الوادي ، و يقال : "أعذب من ماء الصاب" . (٢) حام آبن نوح وهو أبو السودان وذكره هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِمتْ شُقَّتين ... مع الشوق غَوَّر أو أنجدا
"فبالنَّعف" ضائعةٌ شُعْبَةٌ ... وأخرى "بميسانَ" ما أبعدا!
وما خلتُ لى "واسطا" عُقْلةً[1] ... تعلِّم نومى أن يَشْرُدا
ولا أننى أستشمّ الجَنو ... بَ أطيبَ ريحى أو بَرَّدا
وأطرحُ منحدِرا ناظرى ... لها أبتغى رفدَها المُصعِدا
وأحمَدُ من نشرها أنه ... اذا هبّ مثّل لى "أحمدا"
ولا كنتُ قبلَكِ فى حاجةٍ ... لتحمِلَ عُنْقى لريح يدا
أسالكَ "دجلةَ" تجرى به ... محايدةً موجَها المُزبِدا،
صُهابيَّةُ اللون قاريَّةٌ ... تخالف صبغتُها المولدا
تَحِنّ وما سمعتْ فى الظلا ... م غيرَ غناء النَّواتى حُدا[2]
لها رَسَنٌ فى يمين الشَّمال ... اذا ضل قائفُ أرضٍ هَدَى[3]
تحمَّلْ — سلمتَ على المهلكاتِ ... وساقَ لك اللهُ أن ترشُدا —،
رسائلَ عنّى تُقيم الجُموحَ ... وتستعطف العُنُقَ الأصيدا
أجيرانَنا أمسِ جار الفرا ... قُ بينى وبينكُمُ وآعتدى
جفا المضجعَ السَّبْطَ جنبى لكم ... مُحافظةً ونفَى المَرقدا
وأوحشتُمُ ربعَ أُنسى فعاد ... يُهدِّم بانيهِ ما شَيَّدا
وفاجأنى بينكُمْ بغتةً ... ولم أكُ للبين مستعِدا
ففى جَسدى — ليس فى جُبَّتى — ... نوافذُ ما سلَّ أو سَدَّدا
تمنتك عينى وقلبى يَراك ... بشوقى — حاشاك أن تُفقَدا —

(١) فى الأصل "عقله". (٢) النواتى جمع نوتى وهو الملاح. (٣) القائف: الذى يعرف الأثر.

كأنّى سُرعةَ ما فُتّنى عدمتُك من قبلِ أن تُوجَدا
لئن ناوعتْنى يدُ الملك فيك فلم أستطع بدفاعٍ يدا،
فحظُّ عداه — وإن ساءنى — يكون بما سرّنى أعودا
دعوك لتعدِلَ ميْلَ الزمانِ ويُصبحَ رأيُك ما أفسدا
يسومون كفّك سَبْرَ الجراح وقد أخذتْ فى العظام المُدَى
سيُبصر مستقرِبا من دعا ك موضعَ تفريطه مُبعَدا
ويعلم كيف انجفالُ(١) الخطوب اذا سُلّ منك الذى أُغمِدا
وإن كان منكبُه منجبا درى أىَّ صَمصامةٍ قُلِّدا
وقبلك لو أثلثَ الفرقدين ن خابطُ عشوائهم ما اهتدى
ولما رأوك أمام الرعيـ ـل ألقَوا الى عُنُقك المِقوَدا
وأدنَوا لحمل المهمّات منـ ـك بَزلاءَ(٢) عِجْلِزةً(٣) جَلْعَدا(٤)
اذا ثقُلَ الحملُ قامت به وإن ظَلعتْ نهضتْ أجلدا
تكون لراكبها — ما استقا م دون خِطار الفيافى — فِدَى
وتُضحى على الخمْس لا تستري ـبُ عَجرفةً أن ترى المَوردا
تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ أثاروا بها الأسَدَ المُبِيدا
اذا ما الفتى لم تجِدْ نفسُه همّتها فى العلا مَصْعَدا،
سوى غلَبِ الحظّ أو أن يُعَـ ـدَّ فى قومه نَسَبا قُعْدُدا(٥)،
فلله أنت ابنُ نفسٍ سمتْ لغايتها قبلَ أن تُولَدا
اذا خُيِّر اختار إحدَى اثنتيـ ـن إمّا العَلاء وإما الرَّدى

(١) الانجفال : الهروب بسرعة . (٢) البزلاء : الناقة المسنة . (٣) العجلزة : الناقة الشديدة . (٤) الجلعد من الإبل : الصُّلب الشديد . (٥) القعدد : البعيد الآباء من الجد الأعلى .

كأنى أراك وقد زاحموا ... بك الشمسَ إذ عزلوا الفَرقدا
وخاطوا (١) النجومَ قميصا عليك ... ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى ... فخلوّا طُلَى خيلك العَسجدا
وان أخلق الدهرُ ألقابَهم ... بما كرّ منها وما ردّدا ،
رضُوا باختيارى أن أصطفى ... لك اللقبَ الصادقَ المفُردَا
فكنّيتُ نفسَك : أمَّ العلاء ... وسمّيتُ كفّك : قطرَ الندى
وهل سمعوا فى اختلاف اللغات ... بلجّة بحرٍ تُسمَّى يدا !
مُنًى فيك بلّتْ يدى منذُ ثمّـ ... ـتُ عارضَها المُبرقَ المُرعِدا
فَتمّ فراغُ عهودى فقد ... أمِنتُك من قبل أن تَعهَدا
فلا نرمينّ بحقٍّ ورا ... ء ظهرِ النسيئة مُلقّ مُدى
ولا يَشغلنّك عنّى الوُلا ... ة عن حُرُماتى وبعدُ المدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القريبَ ... ولكنّه من رَعَى الأبعدا
تحلّيتُ طَعمةَ عيشى المرير ... يومَ لقيتُك مسترغدا
وأيقنتُ أن زمانى يصـ ... ـير عبدِىَ مذ صرتَ لى سيّدا
وأصبح من كان يقوَى علىَّ ... وغايتُه فىَّ أن يَحسُدا
وقد كنتُ أصعبَ من أن أصا ... دَ رأسا وأعوزَ أن أُوجَدا
اذا استام ودّىَ أو مدحتى ... فتًى رام أخنسَ (٢) مستطردا
يقالتُ قطعا حبالَ القنيص ... يَرَى كلَّ موطنه مَشرَدا
فآنستنى بمديح الرجال ... وذلّلتنى لقبول الجَدا

(١) فى الأصل "وخاطرا" . (٢) الأخنس : الأسد . وفى الأصل "اخبس" .

ولو راض خلقُك لؤمَ الزمان لعلَّمه الجدَ والسؤددا
فما أمكنَ القولُ ما سمع أُزِرْك فرافِدَ بدنةً عُوَّدا
قواضيَ حقِّ الندى والودا دِ منِّيَ تؤمك أو موْحدا
اذا أكلَ الدهرُ أعواضَها (١) من المال عمَّرها سرمدا
لو استطاعَ سامعُ أبياتها اذا قام راوٍ بها منشدا،
لصيَّر أبياتَها سُبحةً ومثَّلَ قرطاسَها مَسجِدا
مهنَّئةً أبدا من علاك بما استأنفَ الحظُّ أو جدَّدا
وبالصوم والعيدِ حتى تكو نَ آخرَ من صامَ أو عيَّدا
وحتى تُرَى واحدا باقيا كما كنتَ في دهرنا أوحدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط في النيروز، يحزيه على عادة الإتحاف ويتشوقه، وقد أنفق ذلك في عشر عيد النحر

أخْلقَ الدهرُ لِمَّتي وأجدَّا شعَراتٍ أرينني الأمرَ جِدَّا
لم يزلْ بي واشي الليالي الى سمـ (٢) ـع معير الشباب حتى استردَّا
صِبغةٌ كانت الحياةَ فما أفـ ـرُقُ أودى دهري بها أو أردَى
يا بياضَ المشيب بِعْني بأيا مك ليلا نضوتَه مسودَّا
يا لها سوحةً نَصاوَحُ تَنْمو (٣) مأ وعهدي بها تَصاوَحُ رَندا
لم أقل قبلها لسوداءَ : عطفًا وأقترابا، ولا لبيضاءَ : بُعدا
عدَّتِ الأربعونَ سنَّ تمامي وهي حلَّت عُراىَ عَقدا فعقدا

(١) أعواض جمع عِوَض وهو الخلف والبدل. (٢) في الأصل "لي". (٣) التَّنُّوم واحدته تنومة وهي شجرة يضرب لون ورقها الى السواد.

بَانَ نَهْيِى بأن كَمُلْتُ وأحسـ ... ـنت بضعفى لما بلغتُ الأشُـدّا
رجعتْ عنّى العيون كما تر ... جعُ عن حاجب الغزالة رُمْدا
ليت بيتا "بالخَيْف" أمسى استضفنا ... ه قِرانًا ولو غَراما ووَجْدا
وسِنانًا على القلوب أحقسا ... با عوضونا الظّبى شِفاءً وبَرْدا
راح صحبى بفوزة الحجّ يحدو ... ن ، وعنسى باسم البخيلة تُحْدَى
والحاظى مقبّلاتُ "بسلع" ... فكأنى أضلمتُ فيه المجدا
ربَّ ليلٍ بين "المحصّب" و"الخَيْـ ... ـف" لبستاه للخلاعة بُرْدا
وخيامٍ بسَفح "أُحْدٍ" على الأقـ ... ـمار تُبْنَى ، فحىّ يا رب "أُحْدَا"
لا عدا الرَّوْحُ فى "تهامة" أنفا ... سًا اذا استُروحتْ تمنّيتُ "نجدا"
وأعان الرقادُ حَيْرةَ طَرْفٍ ... لم يجِدْ فى الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نمتُ أرجو "هندا" فكلّ مثالٍ ... خيّلتْ لى الأحلامُ إلّا "هندا"
عجبا لى ولابتغائى مَوْدا ... تِ ليالٍ طباعُها لِىَ أعدا (١)
نطقتْ فى نفوسها وتعفّفـ ... ـتُ ، فما وُدُّ من يرَى بك صدّا
أجلبتْ (٢) جِلدتى عريكةُ دهرى ... فرمَى بى وقام أملَسَ جِلْدا
كلّ يومٍ أقولُ : ذمًّا لعيشى ... فاذا فاتنى غدًا قلتُ : حَمْدا
زفراتٌ على الزمان اذا استبـ ... ـردتُ منها تنفُّسا زدن وَقْدا
يا لحَظّى الأعمى أما يتلقّى ... قائدا يبتغى الثوابَ فيُهْدَى!
يا زمانَ النفاقِ ما لك زاد اللهُ بينى وبين أهلك بُعدا
مَن عذيرى من صحبة الناس ما أخـ ... ـقرَها ذمّةً وأخبثَ عهدا
كم أخٍ حائم معى واصلٍ لى ... فاذا خَلّفتْ به الحالُ صدّا

(١) يريد أعداء . (٢) أجلبت : تركت عليها جُلبَة وهى القشرة التى تعلو الجرح .

وصديقي سَبْطٍ وأيامه وُسْـ ـطَى فلمّا آنتهتْ تقلّص جَعْدا
ليته غيرَ منصفٍ لي إسما دا على الدهر منصفٌ لي وُدّا
واذا لم تجِدْ من الصبر بُدًّا فتعزَّلْ وجِدْ من الناس بُدّا
يدفع الله لي ويحمي عن "الصا حِب" فردا كما وفّى لي فردا
أجنتْ[1] أوجهُ الرجالِ فما أن كرتُ من بِشر وجهه العذبِ وِرْدا
كيفما خالفتْ عِطاشُ أمانيـ ـنا اليه كان النميرُ العِدّا[2]
مَلَكَ الجودُ أمرَه فحديث الـ ـمال عن راحتيه : أعطَى وأجدَى
زد لحاجا اذا سألتَ وإلحا حا عليه يزدْك صبرا ورِفْدا
لا تَرَى — والمياهُ تُعطى وتُكدِي[3] — حافرًا قطّ في ثراه أكدى
كلما عرَّضتْ له رغبةُ الدنـ ـيا توانى عنها عَفافا وزُهدا
كثّر الناسُ مالَها ، وأقلّتها سِيَرا تشرف الحديثَ وتحمدا
لحفتْه بغايةِ المجد نفسٌ لم تحدِّد فضلا فتبلغ حدّا
عدّت الفقر في المكارم مُلكا وفناءَ الأيّام في العزّ خُلدا
وأبٌ حطّ في السماء ولو شا ءَ تخطّى مكانَها وتعدّى
من بهاليلَ أنبتوا ريشة الأر ضِ وربّوا عِظامَها والجِلدا
أرضعتْها أيديهمُ دِرّةَ الخصـ ـب فروّت تلاعَها والوِهدا
بين "جمٍّ"[4] منهمُ و"سابورَ"[5] أقيا لٌ يعدّون مولدَ الدهر عدّا[6]
لهمُ حاضرُ الممالك إن فا خر قومٌ منها بقفرٍ ومبدى[7]

(١) أجنت : صارت آجنة أي متكدرة متغيرة . (٢) النمير العد : النزاكد الكثير .
(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أي بلغ الكدا وهي الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جم : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفي الأصل "جم" . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخـــذوا عُدرةَ الزمان وسدُّوا ... فُرَجَ الغيـــلِ يقنصون الأُسُدا (١)
ســـيرُ العـــدلِ فى مآثرهـــم نُر ... وَى وحسنُ التـــدبير عنهـــم يؤدَّى
واذا آغـبرّت السنونَ وأبدَى ... شَـــعثُ الأرض وجهَها المُـــربدَّا
طـــردوا الأَزْلَ (٢) بالـــثراء وقامـــوا ... أَثر المحـــلِ يخلُفون الأَنْدَا (٣)
تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ ... ـناس أبناؤهـــم شـــبابا ومُردا
عـــدَّد الدهرُ ســـيدًا سيدًا منـ ... ـهم وعدَّ الحسينُ جَدًّا فجدَّا
حَبَسَ النـــاسَ أن يُجاروك فى السؤ ... دُدِ تعريجُهم وسَـــيْرُك قَصـــدا
ووقَى المُلكَ زَلّةَ الرأى أن صر ... تَ بتـــدبير أمرِه مستبِدّا
لك يومٌ عنـــه مِرَاسٌ مع الحـــر ... بِ يردُّ الســـوابقَ الشُّـــعرَ جُردا (٤)
تركبُ الدهرَ فيـــه ظَهْرا الى النصـ ... ـر وتستصحبُ الليـــالىَ جُنـــدا
وجـــدالٌ يوما تَرَى منك فيـــه ... فقَـــرُ الوافـــدين خَصْما ألدّا
كلّ عَوصـــاءَ يستبِقُ الكَلِمُ الهـــدَّ ... ارُ فى شـــوطها الجـــوادَ النَّهْـــدا (٥)
أنا ذاك الحـــرُّ الذى صـــيَّرتْه ... لك أخلاقُـــك الســـواحرُ عبـــدا
مُعلِقٌ من هواك كفّى بحبـــلٍ ... لم يـــزده البعادُ إلا عَقْـــدا
ملَكَ الشـــوقُ أمرَ قلبى عليـــه ... مذ غـــدا البينُ بيننا ممتـــدَّا
أشتكى البعـــدَ وهـــو ظلمٌ ولـــولا ... لذّةُ القـــربِ ما ألِمتُ البُعـــدا
ليت من يحمُلُ الضعيفَ على الأخـ ... ـطارِ ألـــقَى رَحـــلى اليـــك وأدَّى
فـــترقت عيـــنى ولو ساعـــةً منـ ... ـك، فإنى من بعدها لا أَصْـــدَى
وعـــلى النأى فالقـــوافى تحيّـــا ... تُك منّى تسرى مَراحا ومَغْـــدَى

(١) الغيل : عرين الاسد . (٢) الأزل : الضيق والقحط . (٣) يريد الأنداء جمع ندى .
(٤) الشعر جمع أشعر وهو صد الأبرد . (٥) النهد : الفرس الحسن .

كلّ عذراء تفضح الشمسَ فى الصب ... ح وتُورى فى فحمة الليل زندا
لم تُدنّس بالمس جسما ولم تصـ ... ـبغْ لها غضّةُ اللواحظ خدّا
أرجفتْ الأعطافَ مُهدَى جناها ... لك يُهدِى الى الربيع الوَردا
فتلقّ السلامَ والشوقَ منها ... ذاك يُشكَى وذا يطيبُ فيُهدَى
وأحبُ جيدَ البروز منها بطوقيـ ... ـن وفصل لليلة العيد عقدا
وتسلّم من الحوادث ما كا ... ن على عَقْبه الزمانُ وردّا
ما أبالى اذا وجدتُك مَنْ تفـ ... ـقِدُ عينى — لا أبصرتْ لك فقدا —

* * *

وكتب الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفق يهنّئه بعيد الفطر

اذا قُطعتْ قَرارةُ كلّ وادى ... فدرّتْ "بالاوى" حلمُ(١) الغوادى
ومرّت تهتدى بالريح فيه ... مطايا الغيثِ مثقلةَ الهوادى
ففُتّحتِ الرُّبا خدّا وسُدّت ... بشكر المزن أفواهُ الوهادِ
أناديه وتَنشُدُه المغانى ... ولكن لا حياةَ لمن تُنادى
وما أرَبى الى سُقيا ربوعٍ ... لها من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يدَ السحاب الجَوْنَ(٢) فيها ... ولستُ معوّدا حملَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لها وجفنى ... تيقّنتِ البخيلَ من الجوادِ
ضَمنتُ "بمَسْقَطِ العَلَمين" صحبى ... وقد صاح الكلالُ بهم : بَدادِ
على أرَجِ الثرى لما ضَلانا ... تضوّعَ سنه فى الأنفاس هادى

(١) حلم جمع حلمة وهى الزلزول فى وسط الذى يُمتصّ منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون : الأسود.

وقد سقط السُّرى والنجم هاوٍ عيون الركب فى حطّ الرقادِ (١)

تدانى صبوةٍ دارتْ عليهم بأيدى العيس أكوابُ السهادِ

اذا شربوا السُّرى اقترحوا عليه صفيرَ حمامةٍ وغناءَ حادى

ولما عزَّ ماءُ الركب فيهم وقفتُ أحُلُّ من عينى مَزادى

نحوم وقد تقلّصت الأداوى (٢) على أجفانىَ الأبلُ الصوادى

أجدَّك هل ترى بذيول "سلمى" نَضارةَ حاضرٍ وخيامَ بادى ؟

نحرقن لكلّ عينٍ فى سواد الـ ـخدورِ خَصاصةً (٣) مثلَ السوادِ

وما أتبعتُ ظَعْنَ الحىِّ طرفى لأغنمَ نظرةً فتكونَ زادى

ولكنّى بعثتُ بلحظ عينى وراءَ الركب يسألُ عن فؤادى

وفى نُوّامِ هذا الليل شمسٌ وَفَى سهرى لها وجفَا وسادى

اذا ذُكرتْ نزتْ كبدى اليها هبوبَ الداء نُبِّهَ بالعِدادِ

عجبتُ يَضيمنى زمنى وأرضى ويحصُدنى ولم أبلغْ حَصادى

وتُنفِقُ مسرواتٍ من شبابى لياليه الصعابُ بلا اقتصادِ

وعهدى بالتشابُهِ والتنافى يجرّان التصادقَ والتّعادى

فما بالُ الليالى وهى سُودٌ يُزالُ بها البياضُ من السوادِ (٤)

توقّ الناس إن الداءَ يُعدى وإن قربوا فخُصَّ فى البعادِ

---

(١) هكذا بالأصل ولعله

وقد سَمَطَ السُّرَى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى خيط الرقادِ

وسَمَط بمعنى علّق ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى

والحىّ بينا خالفٌ أو حاضرٌ خيطُ الكرى فى جفنه قد سُمِطَا

(٢) الأداوى جمع إداوة وهى وعاء صغير من جلد يُتخذ للماء ، وفى الأصل "الأوادى" .

(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أو نحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغـــرُرْك ذو مَلَقٍ يغطّى أذاه وجمـــرُهُ تحتَ الرَّمادِ
كِلا أخـويك ذو رَحِـمٍ ولكن أخوك أخوك فى النُّوبِ الشِّدادِ
عذيرَى من صـديقِ الوجهِ يَحْنِي أضالعَـــه عـــلى قلبٍ مُضادِى (١)
لوى يدَه عـــلى حَبـــلٍ لعُنْقى وقال : أضُمُّ يديك على ودادى
تمنَّى — وهو يَنْقُصُنى — تمامى، وأينَ الزِّبْرِقانُ (٢) من الدآدى ؟
ومجتمعين يرتفـــدون عيبى فلا يَزِنُ اجتماعُهـــم انفـــرادى
اذا انتسبوا الفضـــلِ لم يزيدوا على نسبِ "ابن حرب" من "زيادِ"
ألامُ على عُزوف النفسِ ظلما وما لومى عـــلى خُلُقٍ وعادى
ويخـدعنى البخيـلُ يريـد ذمّى وهـل عنـد الهشيمة من مَرادِ
كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى بلغتُ بهـم من الدنيا مُرادى
وأنّ "محمدا" دارَى نفـارى فلانَ له وأسلسَ من قيـادى
رقَى خُلُقى بأخـــلاقٍ كرامٍ ألانت من عرائكه الشِّـدادِ
وكنتُ أذمُّ شرَّ الناس قِـدْما وعيبَهُـمُ فصحّ على انتقـادى
وكم خابطتُ عشـــواءَ الأمانى وكاذبنى على الظنّ ارتيـادى
فلمـا أن سللتُ على الدياجى "ربيبَ النعمة" استذكَى زِنادى
وأنبضَ من يديه لى غديرا وقـــد أعيا فى مَصِّ الثِّمادِ
جلا لى غُرّةً رَوِيتْ جمـالا أُسرُّ بها ووجهُ البـــدرِ صـادى
تفـاديهـا السماءُ بنـــيِّريْهـا فتعـــرِفُ حظَّهـا فيما تُفـادى

(١) فى الأصل "مصاد" . (٢) الزبرقان : القمر ليلة تمامه ، والدآدئ مر تفسيرها .

من الوافين أحلاما وصبرا ... اذا الجُلَّى هفت "بحلوم عادِ"[1]

بنى البيض الخفاف توارثوها ... مع الأحساب والخيل الوِرادِ

تضاحكُ فى أكفهم العطايا ... وتكلحُ عنهم يوم الجلادِ

مطاعيمٌ اذا الكُبَاءُ قرَّت ... وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البلادِ

لهم أيدٍ اذا سُئلوا سِباطٌ[2] ... موصَّلةٌ بأسيافٍ حِعادِ

اذا كانت من الضَّرب المواضى ... أعانوها بأفئدةٍ حِدادِ

طوَوا سلفَ الفخارِ فلم تُوَصَّمْ ... طوارِفُهم بمعروفِ التلادِ

اذا الأحسابُ طاطأتِ استشاطوا ... على متمرِّد الشُّرُفاتِ عادى

يَعُدُّ المجدُ واحدَهم بألفٍ ... من النجباء فى قِيَمِ البلادِ

اذا وَلدوا فتًى سمت المعالى ... تباشَرُ بينها بالإزدياد

نموك أغرُّ من ملكٍ أغرٍّ ... جوادا بالكرائم من جوادِ

أخا طَعمينْ : حُلْوُك للموالى ... بلا منٍّ، ومُرُّك للعادى

اذا لم يختضبْ لك غربُ سيفٍ ... دما خضَّبتَ سيفا بالمدادِ

فأنتَ اذا وكيتَ شهابُ حربٍ ... وأنت اذا جلست شهابُ ناذى

اذا رجع الحسيبُ الى فخارٍ ... قديم أو حديثٍ مستفادِ

فحسبك "بالموفَّق" من فخارٍ ... وبيتِ "الباهليّة" من عَتادِ

ومن يُسنِدْ الى طرفيك مجدا ... يَبِتْ من جانبيه فى مِهادِ

فداؤك دائرُ الأبيات يأوى ... الى وقصاءَ[3] لاطئةِ العمادِ

---

(١) حلوم عاد : يريد بها "أحلام عاد" والعرب تضرب المثل بها لما تصوره من عظم خلقها وترعم أن أحلامها على مقادير أجسامها .

(٢) تقدم تفسيرها وفى الأصل "بساط" .

(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يتـوبُ اذا هفا غَلَطًا بجـودٍ ... ولم يَتُبِ اتقـاءً للمعـادِ

اذا جاراكَ فى مِضمارِ فضـلٍ ... عَدَتْه عن اللحاقِ بك العـوادى

اليـك سَرَتْ مطامعُنا فعادت ... مَواقِـرَ من ندًى لك مستعادِ

يَخِـدْنَ فصائلًا[1] فيـدعنَ وَشْمًا ... لأرجُلهنّ فى الصُّمِّ الصِّـلادِ

يقـادحْنَ الحَصَى شَررا كأنّا ... حدوناها مَناسِمَ من زِنادِ

حَمَلن اليـك من تحف القـوافى ... غرائبَ من مَثَنٍ أو وُحادِ

هـدايا تفخر الأسماعُ فيهـا ... على الأبصـار أيّامَ التهادى

مخلَّصـةً من الـكلم المعـنَّى ... بطول الكـرّ والمعنى المُعـادِ

نوافقَ فى عقود السـحر ثَمَّى[2] ... فصاحتُها الى رمـلِ العِقـادِ

ثمَّى — وهى تُنْظَمُ فيك — أن لو ... تكونُ ترائبًا مهجُ الأعادى

تُخالُ العربُ عجـزا عن مـداها ... نبيطَ العُـربِ لم تنطِقْ بضـادِ

لأيّام البشـائر والتهـانى ... بهـا نشرُ الروائح والغـوادى

يجـرّرُ ذيلَها يومٌ شريفٌ ... فيجعلها على عيـدٍ مُعـادِ

شواهـدَ أن جدّك فى ارتقاء الـ ... سعود وأنّ عمرَك فى امتـدادِ

كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ ... جزيل وقد وفَتْ لك باجتهادى

فكيف خلطتنى بسـواى فيما ... أنلتَ وأنت تشـهدُ باتحادى !

تمادَى بى جفاؤك ثم جاءت ... مواصَـلةٌ أعقُّ من التمادى

ألم تك لى من الذَّهَب المصفَّى ... يدٌ بيضـاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه وأتاه فصيلها وجمعه فصائل . وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن ضامره سير الى الممدوح وهى فصائل صغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثرت أخفافها فى الجلاميد مشدة وطئه شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَد بكسر فسكون وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوِّهـةٌ اذا آنتشرتْ بذكرى ولائقـةٌ بمجـدكِ وآعتقـادى
رضـائى أن تهـزَّك ريحُ شـوقٍ الى قربى ويوحشـك آفتقادى
اذا ما لم يكن نيـلا شريفـا فحسبى من صـلاتك بالوداد

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيوب يهنئه بالنيروز

نبهتُهُ فقـام مشـبوحَ العَضُـدْ أغلبُ[1] لو سِـيمَ[2] الهوانَ ما رقَـدْ
فى يده مـذروبةٌ مَـزيدةٌ ودِرعُـه سابغـةٌ من اللَّبَـدْ
اذا غـدا لم يَحتشِمْ هاجرةً وإن سرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْـورةٍ[3] وإن غَـدَا لسـفرٍ لم يستعِدْ
لكلّ باغى قنصٍ طـريدةٌ تنفُـر منـه وله كلُّ الطَّـرَدْ
هبَّ بلبَّيك وقـد دعـوته مكتفيا بقـوله : الى الأبَدْ
وخيرُ من ساندَ ظهـرى أسَـدٌ أو رجلٌ فى صـدره قلبُ أسـدْ
وقال : فى لَهَـاةِ أىّ خطـرٍ تقـذِفُ بى وعَرضِ ما أىّ بلدْ
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ فى أُفقِ المجـد، فقام فصَـعِدْ
يسـبِقنى سـعيا لمـا أُريده حـتى لقـد أدرك بى ما لم أُردْ
فـردَيْن إلّا صـارمين آعتنقـا وضامرينْ وردَا أين قَـدَدْ[4]
تُضـمِرُ أحشاءُ الدياجى والفـلا منّى ومنـه جسدين بجسـدْ
كأنّ إثرَيْنـا اذا ما أصـبحا على الثرى مسحبُ رمح أو مَسَدْ
حـتى بلغتُ مسرحَ العـزّ به بأقل الشـوط وأقرب الأمـدْ

(١) الأغلب : الأسد . (٢) فى الأصل "ثم" . (٣) المشورة والمشُورة : الاسم من أشار عليه بكذا . (٤) قدد : اسم ماء والمشهور استعماله "قُدَيْد" مصغرا .

وربَّ عزمٍ قبلها ركبتُه ... فتُّ أن أظلمَ أو أن أُضطهَدْ
وغارةٍ من الكلامِ شنَّها ... على اللئامِ كلُّ معنًى مطَّرِدْ
شهدتُها مغامرًا وكنت بالـ ... ـحضِّ عليها غائبًا كمن شهِدْ
ولذةٍ صرفتُ وجهي كرَمًا ... عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ
لم يعتلفني بأثامٍ(١) حبلُها ... ولم يذلني عارُها ولم يكَدْ
وحلَّةٍ طرقتُ من أبياتها ... أمنعَها بابًا وأعلاها عَمَدْ
والحيّ إما خالفٌ أو حاضرٌ ... خَيْطُ الكرى بجفنِه قد انعقَدْ
وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ ... لهم وإلا مقلةُ النارِ رَصَدْ
فبتُّ أستقري الحديثَ وحدَه ... وغيرُه لولا العفافُ لي مُعَدّْ
ودون إرهابي حدٌّ صارمٌ ... عانقتُه ومقولٌ منه أحدّْ
وكم "بذاتِ الرمل" من نافرةٍ ... بغير أشراكِ الشبابِ لم تُصَدْ
أحسنُ من بذلِ هواها منعُها ... ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ
نوميَ محفوظٌ اذا ما زرتُها ... ومرقدي إن غبتُ عنه مفتقَدْ
يُعجِبُ قلبي مطلُها لطول ما ... يكُرُّ بي المطلُ اليها ويَرُدّْ
لله أحبابٌ وفيتُ لهم ... بما استحقُّوا من أسًى ومن كمَدْ
لم يكفِهم شِقوةُ عيني بعدهم ... حتى استعانوا بالدموع والسُّهَدْ
مضوا بجنّات الحياة معهُم ... وعوَّلوا بشقَّتي على النَّمَدْ
صحبتُ قوما بعدهم، جبالُهم ... سحيلةُ(٢) الفتل رخيّات العُقَدْ
وما على مَن كدَّهُ حرُّ الظما ... اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فوَرَدْ!
يضرِبُ قومٌ في وجوهِ إبلي ... وقد كفاهم أنها عنهم حِيَدْ

(١) الأثام: الإثم. (٢) سحيلة الفتل: غير مبرمة الغزل.

لا تُعجِل الكُومَ[1] الى ذيادها ... فهى قِداحٌ عنكُمُ لو لم تُذَدْ

ما للبخيـــل يتحامى جانبى ! ... متى رآنى عاكفا على النَّقَـــدْ[2] ؟

بمستُرٍ عنّى القعبَ دافٌ[3] حنظلا ... فيـه وقد أمرَّ فى فىَّ الشُّـــهُدْ

ما أبصرَ الدهرَ بما أريده ... لو كان فى الحكم علىّ يقتصـــدْ

أنزلنى مـــنزلةً بين الغـــنى ... والفقرِ لم يبخـــلْ بها ولم يَجُـــدْ (١١٢)

وشرُّ أقسامك حظٌّ وسَـــطٌ ... أرعنُ لم تَحمُـــل به ولم تَسُـــدْ

أغرَى الليالى بِىَ أنّى عارفٌ ... بالسهل من أخلاقهنَّ والنَّكَدْ[4]

وأننى أقـــدحُ فى صروفها ... بعزمـــةٍ تُضىء لى على البُعُـــدْ

تُطاعـنى على اليقين ظنّـــتى ... كأنّ يومى مُحـــبِرى بسرِّ غـــدْ

يا بائعى مرتخصـــا بثمـــنى ... سوف يُذَمّ مستعيضٌ ماحِـــدْ

مثلى نُضـــارا ضنّت الكفُّ به ... لو كان فى النـــاس بصـــيرٌ ينتقِدْ

قد فطِنتْ لحظّهـــا مَطالـــبى ... وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَـــدْ

وقـــد علمتُ أىَّ برق أمترى ... مُزنتَـــه وأىَّ بحـــرٍ أستمِدّ

ووسَّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى ... وبشرُهم ملء المـــنى مالا ووُدّ

فما أبالى — وهُمُ الباقون لى — ... مَن ذا فَنِى فى الناس أو مَن ذا نفِدْ !

ولا أروم الرزقَ من غـــيرهمُ ... وإنما أطلبُ من حيث أجِـــدْ

المـــانعون بالجـــوار والحمى ... والناهضون بالعـــديد والعُـــدَدْ

والغامرون المَحْـــلَ من جودهمُ ... بكلّ كفٍّ ذاب فى عامِ جَمَـــدْ

والضـــاربون فى اليفاع والذُّرَى ... اذا بيوتُ الذلّ عاذتْ بالوُهُـــدْ

---

(١) الكوم : جمع كَوْماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٢) النقد : الأخذ من الناس .

(٣) داف : خالط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكد عيشه أى اشتد وعسر .

تضيء تحت الليل أحسابُهم ... لضيفهم إن حاجبُ النار خمدْ
مدُّوا الى الحاجات من ألسنهم ... ذوابلا منذ آستقامت لم تَمِدْ (١)
لا تتقيها هامةٌ بمِغفَرٍ ... ولا يداريها عن الجسم الزَّرَدْ (٢)
تهمر فى الأسماع كلَّ جائفٍ ... اذا آستقامت لُجمة الجُرح فسدْ (٣)
تعرَّفوا بالمجد حتى سافرت ... أخبارُهم بطيبه وهم قُعُدْ
وآختلفوا، لا أخطأتْ بسهمها ... أمنيَّةٌ صوبَ نداهم تعتمدْ
وأفسدوا الدنيا على أبنائها ... فما ترى مثلَهُمُ فيمن تلدْ
هُمُ ما هُمُ أصلا ! ومن فروعهم ... أبلجُ أَرْبَى طارِفًا على التَّلَدْ
وفَى بمجدِ قومِه "محمدٌ" ... فبرَّهم وربَّما عَقَّ الولَدْ
وبانَ من بينهمُ بهمّةٍ ... خَلَّةُ كلِّ سؤددٍ منها تُسَدْ
تمَّ وبدرُ التمِّ بعدُ ناقصٌ ... وزاد والبحرُ المحيطُ لم يزِدْ
ودبَّر الدنيا برأيٍ واحدٍ ... يأنَفُ أن يَشرَكه فيها أحدْ
تراه وهو فى الجميع واحدا ... والبدرُ فى حَفْلِ النجوم منفردْ
اذا آستشار لم يزد بصيرةً ... ولا يلوم رأيَه اذا آستبدْ
حتى لقد أصبح بآتحاده ... يتيمةَ الدهر (٤) وبَيضةَ البلدْ (٥)
قام فنال المكرماتِ متعبا، ... وفاز بالراحة مخفوضٌ قعدْ
وحام عن حمل الحقوق معشرٌ (٦) ... فلم يرعْه حملُها ولم يؤدْ

(١) تمد : تميل . (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه، وفى الأصل "حايف" . (٣) تعرفوا : تطيّبوا . (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لا نظير لها . (٥) بيضة البلد : هى بيضة النعام وقد تجىء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم، فاذا مُدِح بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يُجتمَع اليه و يُقبَلُ قولُه وأنه فردٌ ليس مثله أحد فى شرفه، واذا ذُمّ بها أريد أنه منفرد لا ناصر له بمنزلة بيضة قام عنها الظليم وتركها لا خير فيها ولا منفعة . (٦) حام : تكمّش وجبن، وفى الأصل "حام" .

واو درى النـائمُ أىَّ قَـــدَمٍ يُحرزها الساهر لاشـتاق السَّهَدْ
وربّما برّح بالعين الكرى وكانت الراحـــة داءً للجســـدْ
تسلّمتْ من القذى أخلاقُهُ والماءُ يَقـذَى بالسِّـقاء والزَّبَدْ
وآنتظم القـــلوبَ سِلكُ ودّه فما يَرَى من لا يُحبّ ويَوَدّ
لا رفَقَ الغيظُ بقلبٍ محفَـظٍ (١) عليك إن لم يقل الشِّـعرَ آعتقدْ
جاراك يرجو أن يكون لاحقا، سومُ السَّحوق (٢) فات أن يُجنَى بيدْ
ينقـاد للذِّلّة طـــوعَ نسبٍ حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يُقَدْ
يدين بالبخل اذا سِيلَ فإن أخطأ يوما بنـــوالٍ لم يَعُـــدْ
مـدّ بحبـــلِ شرِّه فانفصمت أسـبابُه وأنت بالخـير تَمُـــدّ
فكلّما جاز مـــدًى جاوزته مقاربا للمجـد من حيث بَعُـــدْ
بك آعتلقتُ ويدِى وحشـيّةٌ وضمّ أنسى شمـــلَه وهـو بَدَدْ
وآرتاض منّى لك خُلْقٌ قامصٌ لم يدر قبـلُ ما العطاءُ والصَّـفَدْ (٣)
ملكتَ قلـبى شـعفا فما وَفَى بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ
حـــتّى حـــوانى أوّلا فأوّلا وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العـــددْ
كم أيكةٍ أنبتَهـا جودُك لى تُربُ ثراها طيّبٌ والماءُ عِـــدّْ
وكلمـا صَوّح منهـا غُصُنٌ عاد بهـا جودُك غضّـاتٍ جُدَدْ
قـد ملأتْ أوعيَـتى ثمارُها فقَدْكِ (٤) إن ردّ عبابَ (٥) السيلِ قَدْ
لم تبقِ فىَّ خَـــلّةٌ تســـدُّها وإنمـا الخَلّةُ بالمـال تُسَـــدّ

---

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الصفد : الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدْك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وآرتفاعه وكثرته ، وفى الأصل

لى فيك من كلّ فقيدٍ خلَفٌ فابقَ فما يضرّنى مَنْ أفتقدْ
اذا السنانُ سَلِمتْ طريقةٌ عُلياهُ(١) فلتمضِ الأنابيبُ قِصَدْ(٢)
وٱضرب بسهمٍ فى العلاء فائزٍ من يدِ عُمرٍ فائزٍ لا يُقتَصَدْ
تُنفَضُ عنك الحادثاتُ شُعَبا حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشدْ
كلّ صباحٍ شمسُ إقبالك فى فُتوقِهِ مفتنّةٌ شمسَ الأبدْ
جذلانَ بين مادحٍ وحاسدٍ فموجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أيّنا من النظر، ذاهبا مع الحميّة يستوحش له، ويذكر مكان الٱستضرار ببعده، ويتفاءلُ له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بها إمّا ردًى أو مُرادْ وردْ لها أين وجدتَ المَرادْ
ولا تُماطلْها بجمّاتِها معلّلا أظماءَها بالثُّمادْ
باعدْ عزيزا بين أسفارها فعزّةُ النجم السُّرى والبعادْ
للهِ رامٍ بلَبانَاتِهِ طولَ الليالى وعروضَ البلادْ
يُقدِمُ إما مبلغا نفسَه معذرةً أو بالغا ما أرادْ
يحفِزُه الضيمُ فتنبو به مضاجعُ الغيدِ ولينُ المِهادْ
اذا أحسَّ الهُونَ صاحتْ به نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ: كادْ
يَعجُمُ منه الدهرُ إن رابهُ جلْدَ العصا صُلبَ حصاةِ الفؤادْ
سمتْ به الهمّةُ حتى نجا منفردا من بين هذا السوادْ

(١) فى الأصل "غرياه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فلتتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله. (٢) قصد جمع قِصدة وهى الكسرة.

مولًى آخِـرَ حاجاتِـهِ ... خزائمَ العيسِ ولُجُـمَ الجيادْ
أقسمَ مهما اكتحلتْ عينُـه ... بمثـلِهِ لا اكتحلتْ الرقادْ
وبات مغمورَ العـلا شاكرا ... ميسـورَه، يفتحُ بالاقتصادْ
يرضَى من الحظِّ بما جاءه ... عفوا، وما الحظُّ سوى الاجتهادْ
ينـام للضـيم على ظهـره ... مُراوِحَ الخـدِّ وثبرَ الوسادِ
إن راعه من يومـه رائعٌ ... قال: عُدُوًّا[1]، فرسُ الذلِّ عادْ
ما أكثرَ المُحِي على مجـده ... الغـةٍ تُرجَى ورزقٍ يُفادْ
ومؤثرَ المالِ على عرضـه ... مجتهـدا ينقُصُ من حيث زادْ
عَـدَّ عن الدنيا وأبنائها ... وبـمْ مودّاتهـم بالبعـادْ
ما هـذه الدهماءُ[2] إلا دبًى[3] ... ينشُرُه في الأرض حُبُّ الفسادْ[4]
إلّا فـتًى يأنف من عيشـةٍ ... لغـيره فيهـا عليـه اعتدادْ
ودولةٍ تخطُبُ رايـاتُهـا ... بأسم سـواه في رءوس الصِّعادْ
مثل "أبي القاسم" غيران يسـ ... ـتفيد من عزّته ما استفادْ
يجـود بالنفس كما جاد أو ... يسود بالواجب من حيث سادْ
هيهات! قامت معجزاتُ العلا ... فيـه وبانت آية الإنفـرادْ
لا تلدُ الأرضُ له من أخٍ، ... أعقَمها من بعدِ طولِ الولادْ
شـاد به اللهُ بُنَيَّ[5] مجـدِهِ ... راسـيةً، واللهُ ما شـاء شـادْ
بارَّ من النـاس فما عابه ... شيءٌ سوى تشـبيهه بالعبـادْ
أبلجُ في كـلِّ دُجَى فحمةٍ ... عمياءَ لا يقـدَحُ فيها الزنادْ

---

(١) أعدُ: الدوف. (٢) الدهماء: الجماعة من الناس. (٣) الدبى: الجراد الصغير.
(٤) في الأصل "السفاد". (٥) بنيّ جمع بُنية وهي ما بنيته، وفي الأصل "بنا".

يصيبُ بالأقل من ظنّه فليس يُستثنَى ولا يُستعادْ
تهفو قُوَى الحلم، وغضباتُه تأوِى الى مستحصفاتٍ شِدادْ (١)
أرهفَ من آرائه ذُبّلا تزودُ للطعن أمامَ الطرادْ
وقاد للأعداء رقّاصةً تعزِفُ — لولا يدُه — أن تُقادْ (٢)
معرّقاتٍ كان أُمّاتُها رابطا ما بين أبياتِ "عادْ" (٣)
يشكُّها إن خلعتْ خُمَيا ما جرّ من فضل نواصى الأُسادْ
خضّبها الطعنُ بماء الطُّلَى فشُهْبُها في شَعَراتِ الوِرادْ (٤) (٥)
يحالفُ الصبرَ عليها فتًى ما بدأ الكرّةَ إلا أعادْ
يبذُلُ في حفظ العلا مهجةً تكبُرُ أن تفديها نفسٌ فادْ
يَرَى طلابَ العزّ أو بَردَهُ في حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجِلادْ
شجاعةٌ سبّبها جودُه، إن الفتى يشجُع من حيث جادْ
يا راكبَ الدهماء لم يُحفِها سَيرٌ ولا حثّتْ لتغريدِ حادْ (٦)
حدّدها الطالى فما عابها على بياض الجسم لُبْسُ الحِدادْ
لا تلتوى من ظمأ والثرى مُكْدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ
يَحفِزها من مثله سائقٌ يَضِلُّ خِرّيتُ الفلا وهو هادْ
راكبُها وهو على ظهرها موطّأُ الجنب قليلُ السهادْ
يكرعُ في صافٍ قليلِ القذى عَذبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ
بلّغ — بلغتَ الخيرَ — خيرَ امرئٍ شُدّتْ عليه حَبَوات البوادْ

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب . (٣) معرقات تمتد عروقها أى أصولها ، وفى الأصل "معرفات" . (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير : اعترقتْ[1] بعدكم ... عظمى نيوبُ الأزماتِ الحِدادْ
وارتجع البخلُ وأبناؤه ... ما أسارتْ عندى كفُّ الجوادْ
غاض الندَى بعدك يا بحرَهُ ... وبانَ مذ بنتَ بفضلِ السَّدادْ
واعبرْ جوًّ كنتَ خضَّرتَهُ ... فشُحطتْ فيه الرُّبَا والوِهادْ
دِينٌ من العدل عفا رسمُه ... شَرَعتَهُ للناس بعدَ ارتشادْ
وسنةٌ فى المجد قد قُوِّضتْ ... أقمتَ من أطنابها والعمدْ
ومهملٌ من كلمٍ نادرٍ ... نفَّقهُ[2] مدحُك بعدَ الكسادْ
عاد يُوَفَّى أجرَهُ كاملا ... عندك حيًّا قبلَ يومِ المَعادْ
عرَّفتَهُ والناسُ من حاسدٍ ... أو جاهلٍ بالقولِ والانتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ ... منك مغانى الكرم المستفادْ
وسُلَّ[3] سَرْحُ الأمر من قبضة ال ... راعى فأمسَى هَجمةً[4] لا تذادْ
معطَّلَ المجلسِ والمنبرِ ال ... مركوبِ عارى السرجِ رِخوَ البِدادْ[5]
تعلَّقَ الممسكُ أطرافَه ... منه برُسغَىْ قاطعٍ لا يصادْ
كأنما صاحَ غرابُ النوى : ... بدادِ فيه بعدَ جمعٍ بدادْ
قد أسِفَ الرأسُ على تاجه ... وأنكرَ العاتقُ[6] فقدَ النِّجادْ[7]
ووجهُ "بغدادَ" على حسنه ... أسفعُ[8] مكسوفٌ عليه اربدادْ[9]
كانت حريمًا بك ممنوعةَ الـ ... ـظهر فعادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلِّ بيتٍ من أذًى عَوْلةٌ ... تُبْدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعادْ

(١) اعترقت : نزعت ما عليه من لحم . (٢) نفقه : روّجه . (٣) فى الأصل "سلّ" .
(٤) الهجمة : من الإبل مابين السبعين الى المسائة أو الى دونها . (٥) البداد : بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها . (٦) العاتق : موضع نجاد السيف من الكتف . (٧) النجاد : حمائل السيف . (٨) الأسفع : الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاقّ . (٩) الاربداد : التغير .

وكيف لا يُنكَرُ عهدُ الحمى ... يفوتُه العامُ بصوبِ العِهادْ !
يا مبدئَ الإحسان فينا أعدْ ... فالبدر إن مرّ مع الشهر عادْ
قم فأثِرْها عزمةً لم تنمْ ... ضُعفاً ولم تنقُصْ لغيرِ ٱزديادْ
عاجلْ بها جَدْعَ أنوفٍ طغتْ ... وأرؤسٍ قد أينعتْ للحَصادْ
يحسبها الأعداء قد أُخمِدتْ ... وإنما جمرُك تحتَ الرَّمادْ
لا تأخذِ الدهرَ بزلّاته ... وسَعْهُ بالعفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشِّفْ عن صدورٍ خبتْ ... أضغانُها من قاتلٍ أو مُضادْ
فكلّما تُبصِرْه صالحاً ... فإنما يصلُح بعد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يدى ... من بعد شدّى بكم وٱعتضادْ
وطمِعتْ فىّ ذئابُ العدا ... حتى حلا مضغٌ لها وٱزدرادْ
وُقِّتَ فى حالى وفى عيشتى ... بطلبى ظِلَّكُمُ وٱفتقادْ
لا نَسِيَ اللهُ لكم والعلا ... ما زدتُمُ فى عُدّتى أو عَتادْ
ونعمةٍ أثقلتُمُ كاهلى ... بحملها وهى يدٌ من أيادْ (١٥)
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم ... وحاسدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكرٍ حفظى لكم يرتمى ... مقاتلى من خطإٍ وٱعتمادْ
وليس للحابطِ إلا العَشا ... مِنّى وللخارطِ إلا القَتادْ
وناشطاتٍ أبدا نحوكم ... من عُقَلِ الفكريانِ المقادْ
سوافرٍ عن غُرَرٍ وُضّحٍ ... ينصَعُ منهنّ سوادُ المِدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم ... بخالص الحبّ وصفوِ الودادْ
حافظةٍ فيكم عهودَ الندَى ... حفظَ الرُّبَا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّما يرعى أياديكُمُ ... فى القرب مَنْ لم يرْعَها فى البعادْ

* * *

وقال وقد بلغه تشوّق الأمير الأجلّ نور الدولة أبي الأغرّ دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، واقتراحه أن يُخصّ بشيء يجمع فيه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحاله، وتوسّط بعضُ كتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجم عليه فى جُمادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ "أسماءَ" والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّما بخلَتْ يجودُ؟

طوَى طيُّ البرود عِراصَ "نجدٍ" ... وزار كما تأرّجتِ البرودُ

يشقُّ الليلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليدُ

مواقدُ "عامرٍ" ومروحُ "طيٍّ" ... وما قطعت برملتها "زرودُ"

له ما للبدورِ من الدياجى ... فأرّقنى وأصحابى هُجودُ

فقمتُ له أطوّقه عِناقا ... يدا ضعُفتْ وباعُها شديدُ

يدُ القنّاصِ تخفُقُ أين مُدّتْ ... حِبالتُه فتضبِطُ ما تصيدُ

فيا لكِ سُحرةً سُرِقتْ لوانّى ... غدًا فيها يتمّ لِىَ الجُحودُ!

وكيف وتُربُ "بابلَ" سَلْخَ شهرٍ ... وأردانى (١) بريّاها شُهودُ!

أمَا ومشعشعين "بذاتِ عِرقٍ" ... صلا (٢) يَقْرِى "العراقَ" له عمودُ،

ورائم سهمَ عينيه "بسَلْمٍ" ... و"بالزوراء" يقتُلُ من يريدُ،

لَمَا وفَتِ الصوارمُ والعوالى ... بما جنتِ المحاجرُ والنقودُ

وكم بأوى "المشقّرِ" من غزالٍ ... تحاذر من كَنامَتِه الأسودُ

تُقلّمُ حولَه الأظفارَ عينٌ ... ويُهتِمُ دونَه الأنيابَ جيدُ

وأبيضَ من نجوم "بنى هلالٍ" ... وجوهُ العيش بعد نواه سودُ

---

(١) الأردان جمع رُدن وهو الكمّ. (٢) الصلا: الوقود.

هويتُ له الذى يهواه حتّى ... حلا إعراضُه لى والصدودُ
نفضن الحبَّ أسمالا وعندى ... لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ
ورُحنَ وقد سفكنَ دمًا حراما ... تصيح به الأنامِلُ والخدودُ
أما تنهاك عن عيد(١) التصابى ... مواضٍ من شبابك لا تعودُ؟
وفادحةٌ لها فى كلّ يومٍ ... ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ
طوالع فى عذارك لا الأحاظى ... قَسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ
وقالوا: حلَّمتْكَ، فقلت شوقا: ... متى مبدى الخلاعةِ لى يعيدُ؟
يَجُرُّ عَلَىَّ أبيضُها خمولا ... وكنت بجاهِ أَسْوَدِها أَسودُ
ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى ... مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ
فتلحاه العوارضُ والمَقالى ... وترضاه الترائبُ والنهودُ
عدمتُ مكارم الأيّام، مَنْ ذا الـ ... ـشقىُّ بها ومَنْ فيها السعيدُ؟
مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى ... وحرلَ العجزِ تزدحم الجدودُ
تُقامُ على الفقير وما جناها ... اذا وجبتْ على المثرى الحدودُ
وما لك من أخٍ فى الدهر إلا ... أخوك طريفُ مالِك والتليدُ
محَضْتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ ... بكىءٌ(٢) دون زُبدته زهيدُ
هُمُ حولى مع النُّعمَى قيامٌ ... وهم عنّى مع الجُلَّى قعودُ
توقَّ تحيةَ ابن العمِّ يوما ... فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ
ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعَى ... فتحتَ لشاتِهِ نابٌ حديدُ
وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن(٣) ... تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ
وحولك من قبيلك من تكون الـ ... ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد: ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه.
(٢) البكىء: الناقة لا تدرّ.
(٣) فى الأصل "يكون".

مُـداجٍ أو مُبادٍ أو حسودٌ ... وشُرُّهُمُ على النِّعَمِ الحسـودُ

ومولًى عرشُـه بك مشمخرٌّ ... بطول الحفر يَهـدِمُ ما تشيدُ

نصحْتُ لمارقٍ من "آل عوف" ... لو أنّ النصح يبلغ ما أريدُ

وقلتُ له : قناتَك لا تدعها ... تُوصَّمْ بالعـقوق ولا تميـدُ

وبيتَـك لا تبدّلْ فيـه غدرا ... فإنّ عليـك ما يَجني الثُّـدودُ (١)

ولا تعبَثْ بعـزِّ "مَزيَدِيٍّ" ... لتَنقُصَـه وأنت به تزيدُ

هم ٱلتحموك معـروقا (٢) وضمُّوا ... عزيمَـتك وهو متحسِّس طريدُ

ومـدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى ... سما بك بعـد مهبطه صعودُ

الى نادٍ تفـوه به وتغشَى ... وسامرةٍ يُشَبُّ لها وَقـودُ

عُنُوا بثرائك وٱغترسوك حتّى ... بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ

ورثُّوا نعـمةً لك لا يغطّى ... عليها السترَ غَمطُك والجُحودُ

فما غَنِيَ المبصَّرُ وهو باغٍ ... بما تُجدِي المَشُورةُ أو تُفيـدُ

وقام يقـودُها سُوقًا (٣) عجافًا ... أعزُّ من القيام بها القـعودُ

يَلوثُ جبينَـه منها بعـارٍ ... تبيـد المخـزياتُ ولا يبيـدُ

فكيف وأنت طير البغى فيها ... جرت لك بالتى عنها تحيـدُ

نزلتَ لها بدار الهُـون جارا ... لأقـوامٍ تُضامُ وهـم شهودُ

صديقَ العجزِ أسلمك الأدانى ... بجُرمك وٱستراب بك البعيدُ

تَقاذَفُـك المهامهُ والفيـافى ... وتُنكرك التهائمُ والنُّجودُ

فما لك ـ لا وَألتَ (٤) ـ وأنتَ حُرٌّ ... يُجيرك من عشيرتك العبيدُ

---

(١) الثدود : النفور والشرود . (٢) معروقا : منزوعا ما عليك من لحم . (٣) سوق جمع ساق . (٤) يقال : وأل فلانا : أتخذه موئلا .

وأن الجارَ لا حيّ عزيزٌ بأسرته ولا ميتٌ فقيدُ
ولو بأبي الأغرِّ صرختَ فاءتْ عليك فضولُ رأفته تعودُ
إذن لأثرتَ عاطفةً وحلمًا تموتُ له الضغائنُ والحقودُ
وكان الصفحُ أبردَ في حشاه اذا التهبتْ من الخَنَقِ الكُبودُ[1]
وعاد أبرَّ بالأنساب منكم وبالقربى لو أنك تستعيدُ
نتجتَ من المنى بطنا عقيما نَمَى بك والمنى أمٌّ ولودُ
أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !
وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ، متى اجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟
تريدون الرءوسَ وقد خُلِقتم ذُنابَى لا انتفاعَ بأن تريدوا
ويأبى اللهُ إلا "مَزْيَدِيًّا" على "أسدٍ" يؤمَّرُ أو يسودُ
فدعْها للذى جفَتْ اليه وسأله العفوَ فهو به يجودُ
دَعُوا قوما يخاصم في علاهم رقابَكُمُ المواثقُ والعهودُ
بأيّ سلاحكم قارعتموهم أبَى الماضي الشبا ونبا الحديدُ
وإنّ سيوفكم لتكون فيهم مكاوىَ لا تَنُشُّ[2] لها الجلودُ
ففخرا يا "خُزَيْمُ" فكلُّ فخرٍ الى أنواركم أعمى بليدُ
لكم نار القِرى وندَى العشايا وفرسانُ الصباح وَعَوْا فَنُودوا[3]
وأنديةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ اذا انتُضيت[4] وأحلامٌ رُكودُ (١١٧)
ومنكم كلُّ ولّاجٍ خروجٍ وذو حزمين صدّارٌ وَرودُ
وقَرُّ ما أقلّ السرجُ نُبْتٌ اذا مالت من الرَّهَجِ اللُّبودُ

(١) اللبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوت . (٣) في الأصل "فنودوا" .
(٤) في الأصل "انتضيت" .

اذا "مُضَرٌ" تطامَنَ كلُّ بيتٍ ... لها وعلا بربوتها الصعيدُ

وكانت جمرةَ الناسِ، احتبيتم ... وفيكم عزُّ سورتها العتيدُ

بَنَى لكمُ "أبو المظفارِ" مجدا ... على موت الزمانِ له خلودُ

وقدمكم على الناس اضطرارا ... مقاماتٌ وأيامٌ شُهودُ

إجارةُ "حاتمٍ"(١) ودمُ شريقٍ ... به لبّاتُ "حُجْرٍ"(٢) والوريدُ

وطعنةُ "حاتمٍ" وطِرْفٌ قديمٌ ... قضى "مَروانُ" فيها ما يريدُ

وصاحتْ باسم صامتَ نفسُ حرٍّ ... "ربيعُ المقترين"(٣) بها يجودُ

و"صخرٌ" ذابَ "صخرٌ"(٤) على قناكم ... ولان لكم به الحجر الشديدُ

ويومُ "عُتيبةٍ" علمٌ عريضٌ ... تباشره المواسمُ والوفودُ

كرائمُ من دماء باردات ... لديكم لا دِيَاتٍ ولا مَقيدُ

وإنّ "بابلٍ" منكم لبحرا ... لو آنّ البحرَ جادَ كما يجودُ

اذا الوادى جرى ملحا أُجاجا ... ترقرق ماؤه العذبُ البَرودُ

فتىُّ السنِّ مكتهلُ حجاهُ ... طريفُ الملكِ سؤدُده تليدُ

اذا اشتبهتْ كواكبهم طلوعا ... "فنورُ الدولةِ" القمرُ الوحيدُ

أناف به وقدّمه عليكم ... أبٌ كَرُمٌ(٥) أناف به الجدودُ

أغرُّ قسيمُهُ(٦) السيفُ المحلَّى ... ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ

يعود اذا تغرَّب فى العطايا ... ويُقلع فى الهَنَاتِ فلا يعودُ

---

(١) يشير الى حاتم الطائى حين أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندىّ يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتلته بنو أسد، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأقعم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدىّ ؛ وهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بها أن ممدوح مهيار يمت بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسيم : النظير .

بليلِ الريقِ من كَلِمٍ سديدِ ... يقومُ بنصره رمحٌ سديدُ
تراغتْ حولَ قبّته بكارٌ ... شفارُ الجازرين لها قُتودُ
تراد الخيلُ أفرسَ من تمطّنْ ... به والجيشُ أشجعَ من يقودُ
ويعسَى ثم يُفقِرُ راحتيه ... مقالُ امادحين: الغفرُ جودُ
مَن الغادي ينقّلُه حصانٌ ... مفدّى السبقِ أو عنسٌ وخودُ
اذا ركبَ الطريقَ، وفي بشرطي ... أخٌ منه على أو بي عقيدُ
اذا بغتْ عن "إنسانٍ"[1] يتزو ... وراء ضلوعه قلبٌ عميدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ... ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقل لأمير هذا الحيّ عني: ... أيُجمَعُ لي بك الأملُ البديدُ؟
أحنُّ الى نفائك والليالي ... علىّ مع العرائق لي جُنودُ
وتجذبني نوازعُ موقظاتٌ ... اليك وراءها قدرٌ رقودُ
وكم وعدتْ بك الآمالُ نفسي ... ويقضي الدهرُ أن تُلوَى الوعودُ
فهل من عطفةٍ بالود؟ إني ... على شحط النوى خِلٌّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِدْ ... كأني من نجيّكُمُ شهيدُ
وكم ملكٍ سواكم مذ نحوى ... يديه فقصّر الباعُ المديدُ
ومعصوبٍ بذكرى أو بشعري ... أحوّل عنه شعري أو أحيدُ
أحاذر أن تبدّلني بكنٍّ ... مراتعُ صدتني عنها أسودُ
لعلّ علاكمُ وندى يديكم ... سيُرضيني بمُقتِلةٍ تؤودُ
ويُجتمعُ عليها القولُ، أنّي ... بها والقولُ مشتركٌ فريدُ
من الغرّ الغرائبِ لم يعبْها ال ... كلامُ الوغدُ والمعنى الزديدُ

(١) إنسان: اسم عين.

نوادر تلقـط الأسماعُ منهـا ... عن الأفواه ما نَثَرَ النشـــيدُ
تَسـير بوصفكم وتُقيم فيكم ... خوالدَ فهى قاطنـــةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكم لِرِفـدٍ ... تَلَوُّمُهُ [اذا] (١) قصَـدَ القصـيدُ

* * *

(١١٨) وقال وكتب بها فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه وينتصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشةٍ له

جَـــمَّ لها الوادى وعزَّ الذائدُ ... وطاب ما حـــدَّثَ عنها الرائدُ
فخلّها راتعـــةً مجـــرورةً ... وراءها الأرسانُ والمَقاودُ
يُخالِفُ ما آستُسلفَ من جِرَّاتها ... كهلٌ (٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغـــيرُ لا ينالُ فرصـــةً ... منها ولا يطمعُ فيها الطاردُ
تذبُّ عنها من سِماتِ ربّها ... صـــوارمٌ ليس لها مَغامدُ
اذا بدت فى عُنُـــقٍ أو حارِكٍ ... فهى عليها أعينٌ رواصـــدُ
ونَمْ فقـــد حرَّمَها هـــذا الحمى ... وضمَّها وهى دُخانٌ شـــاردُ
وأعجـزَ النـاسَ جميعا رَعْيُها ... فاليـــومَ يرعاها جميعا واحـــدُ
أَرْوَعُ لا يغلِبُـــه المكرُ ولا ... تـــدِبُّ فى حريمـــه المَكايدُ
أعارها عينا فكانت عُـــوذَةً ... لها وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـــهُ ... فالظلُّ سَكْبٌ والنســـيمُ باردُ
دانَ بتاجِ الحضرةِ الدهرُ لها ... وحلَّ حبـــلَ الذلِّ عنها العاقدُ
وصـــدَّقَتْ أَن الربيعَ بعـــدَها ... بـــوارقٌ من يده رواعـــدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها ... فأورقَ الذاوِى وقام المـائدُ

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل . (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضحكَ القاطبُ من وجه الثرى ... وسالَ وادى المكرماتِ الجمدُ
ويشّر الفضلُ بقايا أهلِهِ : ... لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ
فقلى لأبناء الضّلالِ والمنى ... والحاجِ ضاقتْ بهم المقاصدُ ،
يتاجرون المجدَ فتخيسُ(١) فى ... أيديهم البضائعُ الكواسدُ :
تضمّكم حَنُونَةٌ(٢) وأنتمُ ... عِزُونَ(٣) فى الآفاق أو بدائدُ
زَمَّ الأمورَ فالتوى أعنافَها ... ساعٍ الى الغاياتِ وهو قاعدُ
ودبّر الدنيا على علّاتها ... فصلحتْ والدهرُ دهرٌ فاسدُ
مَضِىٌّ له من عزمه مجرّدٌ ... يثبُ من جهلِ الزمانِ عامدُ
يَرى بوجهِ اليوم صدرَ غدِهِ ... تُعطيه ما فى المَصدرِ الموارِدُ
لا يأخذ التدبيرَ إلا من عَلِ ... فالناسُ يخطُونَ وهو صاعدُ
وأى آنتهاءِ مجدِهِ مبتدأً ... لمّا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ
شهرهُ حبُّ العلا منفرداً ... وهو على ظنِّ العيونِ راقدُ
جَدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ ... وجادَ عفوا والسحابُ جامدُ
ولاحَ فى المُلكِ شهابا فورَى ... زنادُهُ والمُلكُ نجمٌ خامدُ
متصراً بنفسه لنفسه ... كالليثِ يشرى(٤) ما لَهُ مساعدُ
لا يملكُ الحفظُ عليه أمرَهُ ... ولا تُفرّى حِلمَه الشدائدُ
يُنهضه الكمالُ من أثقالِهِ ... بأوسقٍ تلفظها الجلامدُ
مدَّ على الدولةِ من جناحه ... ما مدَّ عطفا لبنيه الوالدُ
حتى آستقامتْ وهى بلهاءُ الخُطا ... عمياءُ ما بين يديها قائدُ

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنونة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَةٍ وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدم ويهاجم .

كم قـدم قبلك قـد زلّت بهـا ... ضُعفا وكفٌّ لم يُطعها الساعدُ

وضابطٍ لم يُغنِـه ـ لمّـا طغتْ ... أدواؤها ـ التجريبُ والعـوائدُ

بحُرسه وليس من حُمَاتها ... مثـلُ المُغا(١) ينقُص وهو زائدُ

جاءت على الفَـتْرة منـه آيةٌ ... معجزةٌ قامت بها الشواهـدُ

مَوهبـةٌ فاجئـةٌ لم تُحتَسَبْ ... ولم تسـوّفه بها المَواعـدُ

كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامُ فى ... إظهـاره المِيقاتَ أو تراصـدُ

كالنارِ فى الزّند تكون شَرَرا ... بالأمس وهو اليومَ جمـرٌ واقدُ

فأبرزتْـك للعيونِ كوكبا ... يَزهَرُ لم تَجـرِ به العـوائدُ

يَفـديك محظوظون وجهُ عجزهم ... يغلَط النّعمة فيهـم شاهـدُ

قـد سَرق المهرُ لهـم سـيادةً ... ليس لهـا من المَساعى عاضدُ

تنافرُ الأقلامُ عن أيمانهـم ... وتقشـعرُّ منهـم الوسـائدُ (١١٩)

لم يَنظموا المجـدَ كما نَظمتَـهُ ... ولا حلَتْ عنـدهم المحامـدُ

ولا أعانَ طارفا من حظّهم ... مجـدُ أبٍ مثـلِ أبيـك تالدُ

وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ ... أُسـرَتُهُ لِمَـا بَنَى قواعـدُ

وبعضُ علياءِ الفتى مَكاسبٌ ... بنفسـه وبعضُـها مَوالدُ

وليهنـك الأمرُ الذى ذلّ به ... لك العـزيزُ وأقـرّ الجاحـدُ

ولَانَ فى يديك منـهُ مِرسٌ(٢) ... مُـلاوِذٌ مَن رامَـهُ مُحايدُ

يَنقُص من فـدوك وهو فاضلٌ ... على وسـيعات الأمانى زائدُ

ومُشرِفاتٌ فُضُـلٌ لِستِهـا ... تَزِلُّ عنها المُقَـلُ الحـدائدُ

كالبـدنِ الليثِ سَطَا وحسنُهـا ... كالوشيِ تُكسَاهُ الدُّمَى الخـرائدُ

---

(١) المغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لَمَا ... كان لها من مثلها مجاسِدُ
باطنةٌ وظاهرٌ بمالُها ... فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ
نَسجَها فى الأرض وانْحَرها ... معرِقٌ فى الحمق أو معاقِدُ
وكالسماء عمَّةٌ صِبغتُها ... قد جاءها من الزمان واقِدُ
مقدودةٌ منها ، ومن نجومها ... فى طَرفَيْها سائرٌ وراكِدُ
إن لم تكن تاجًا فقد أكسبَها ... نورُك ما لم يُكسَ تاجًا عاقِدُ
وضاربٌ الى "الوجيه"(١) عِرْقُه ... بأربع تَشْقَى بها الأوابِدُ(٢)
من اللواتى نَصَرَتْ آباءَها ... فى السبق أمهاتُها الرِدائدُ
وصَبحتْها(٣) بالصريف(٤) عُلُبًا(٥) ... قبلَ عيالِ ربِّها الولائدُ
خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرّةٍ ... كوكبُها لمقلتيه قائدُ
يجاذبُ الريحَ على الأرض ومِن ... قلائدِ الأفقِ له قلائدُ
حلْوٌ من البِرِ اذا حَفَّ به ... أُنمِلَ فهو نحتها مُجاهِدُ
ينصاعُ "كالمريخ" فى ألتهابِه ... وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"
غرائبٌ من الحِباء(٦) جُمِعَتْ ... بها لك الفوارِكُ الشوارِدُ
تبرَّعَ المَلْكُ بها مبتدئا ... وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ
قد كنتُ عيَّفتُ لك الطيرَ بها ... مستيقظا والحظُّ بعدُ هاجدُ
وبرَقَتْ لى فى المنى سيوفُها ... من قبلِ أن تُبرِزها المَغامِدُ
علْمًا بما عندَك من أدَاتِها ... وأنها سيفٌ وأنت ساعِدُ

---

(١) الوجيه : اسم فرس . (٢) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . (٣) صبحتها : سقتها الصبوح وهو اللبن يحلب بالغداة . (٤) الصريف : اللبن ساعةَ يُحلَب ، وفى الأصل "العصير" . (٥) العُلُب جمع عُلبة وهى قدَح ضخم من جلد أو خشب يُحلب فيه . (٦) الحباء : العطاء ، وفى الأصل "الحباء" .

فلم يُجْـنِّى فارسُ الظنِّ ولا ... غَرَّتْنِيَ المخايلُ الشواهـدُ
وبعـدُ ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ ... الى السماء وحسابٌ زائـدُ
حتى يُشَـقَّ للزمان رمسُـهُ ... وأنت باقٍ والعـلاءُ خالدُ
بك ٱستقاد الفضـلُ ودماؤه ... مطـلولةٌ وعزٌّ وهو كاسـدُ
نصرتَهُ والناسُ إمّا جاهـلٌ ... بحقّـه أو عارفٌ مُعـاندُ
ورِشْتَ من أبنـائه أجنحةً ... طار حَصيصها ريشُـهُ البـدائدُ
تُعطى وأنت مُعـدِمٌ وإنما ... يُعطى أخوك البحـرُ وهو واجدُ
زرعتَ عنـدى نعمـةً سالفةً ... أنت لهـذا الشكر منها حاصدُ
عَطفا على ذكرى ووصفا خُـبُرُهُ ... باقٍ علىَّ والزمانُ بائدُ
ونَظَـرا بَدأْتَنى برأيـه ... لو أن باديه الىّ عائـدُ
لكن أردتَ الخـيرَ لى ودونه ... حوائلٌ من زمنى حـوائدُ
فهـل لأرضى لك أن تَبُلَّهـا ... على الجُـدوب سُحْبُك الجـوائدُ ؟
غَرَسْتُ منك بالولاء والهـوى ... غرْسا فـاذا أنا منـه حاصدُ
أُنظرْ، فقد قدرتَ ، فى مَظْلَمـةٍ ... كنتَ على إقصافها تعاهـدُ
وٱقضِ ديونَ المجـد فيها وٱرعَ لى ... ما تقتضى الأواصرُ التـوالدُ
ولا تكن — حاشاك — من معاشرٍ ... تَخـذُلُ أقـوالهم العقـائدُ
كانوا يدى وريحُهـم راكدةٌ ... وأُسرتى والحظُّ عنهـم عاصـد (١)
فحين هبّت عاصفا رياحُهـم ... قـلَّ الوفىُّ ونَأَى المساعدُ
غَنِيتُ أَنْ أسكرَنى جفـاؤهم ... وفى غِنـائى لَهُـمُ عَرابـدُ
وبُخـلاء لا تُهـنّا نعمـةٌ ... هُمُ اليها السُّبْلُ والمَقاصـدُ

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

اذا كَرُمتَ لؤمـوا سَفارَةً ... وإن قربتَ فهُـم أباعـدُ

تُغالِقُ الأرزاقَ أيمانُهُـم ... تَضجُّ من مطالِهـم المَواعـدُ

لا يُرتجى حُكمُ الفريض بينهم ... ولا يُخاف اللَّقـوُ والعَـرائدُ

وكيف أبغي في الشَّطِط منهُـم ... والعُجم أن ننفعَني القصائدُ

تلافَ بالفضـل الوسيع ما جَنَى ... مُسلِمُهـم عـلىّ والمُعاهـدُ

حاشاك يشقَى واحدٌ بفضـلِهِ ... على زمانٍ أنتَ فيـهِ واحـدُ

قد طال صوني سمعَك المشغولَ عن ... بثِّك ما ألقى وما أكابدُ

وقَبِتْ(١) جسـمي وقلبي صابرٌ ... من زمني نيـوبُهُ الحـدائدُ

ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْلةً ... فيَّ تدبُّ نحـوها الأوابدُ(٢)

وأعوزَ المُقامُ أن أستطيعَهُ ... وسُدِّدَتْ عن سبرَى المَقاصدُ

أيقتُلُ الزمانُ مثلي هَـدَوا ... وأنت تأرى والزمانُ عامدُ؟

أنت بفضلي شاهدٌ فلا أمتْ ... هَزْلًا وتضييعا وأنت شاهـدُ

أعدْ مع الإقبالِ نحوى نظرةً ... تَنعشُني لحـاظُها الرواكدُ

لعلَّها يا خيرَ مَن يُدعَى لها ... تَصلُحُ شيئا هـذه المفاسـدُ

وأبتعْ بها الشكرَ فعندى عوَضٌ ... تَضْمَنُهُ(٣) القـواطنُ الشـوارِدُ

كلّ مطـاعٍ أمرُها مسـلَّطٌ ... في الشـعر ملقاة لها المَقـالدُ

سائرة تنشرها الركبانُ أو ... عامرة بذكرها المَشـاهدُ

تَرَى الكلامَ عَجْـزًا وطَرَفًا ... وكلُّها وسائـطٌ فرائـدُ

اذا رأتْ عِرضَ كريمٍ عاطـلا ... فهي له العـقودُ والقـلائدُ

---

(١) قبت : جعلت به قَبَبًا أى تَرَفًا . (٢) الأوابد : غرائب الكلام ويريد بها القصائد .

(٣) في الأصل "تضمه" .

تجمـلُ من وصفك ما يجمـلُهُ ... عن روضة الحَزْن النسيمُ البـاردُ
طالعـــة بهـا التهانى أنجمـا ... ما كـرَّ نوروزٌ وعيـدٌ عائدُ
يفنى بنـــو الدنيـا وأنت مَعَها ... باقٍ على مرّ الزمان خالدُ
تَبـقَ عليك والذى نأخـــذُه ... من الجـــزاءِ مضمحِلٌّ بائـــدُ
مَحامِدٌ يحسُـدُك النـاسُ لهـا ... والنـاسُ إما حامدٌ أو حاســـدُ

* * *

وقال يصف دَواةً

وخرقاءَ مُعـرِقةٍ فى الضـلا ... ل شاقك فى القَصد إرشادُها
اذا سُقيتْ فيما أُطعِمَتْ ... مرنَّقـــة، ماؤها زادُها
وإن رَشَفَتْ ريقَها ألسُنٌ ... وقاءَتْ ففى القِءِ أكبادُها
تَقطّع منهـا فـلا تَرعوِى ... وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها
ترى زوجَهـا أبدا فوقهـا ... ومن غيرِهِ جاء أولادُها

* * *

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ ... وغار يغـالطُ فى المُنجِـــدِ
أحبَّ وصانَ فوَرَّى هوًى ... أضـلَّ، وخاف فلم يَنشُـــد؟
بعيـد الإصاخة عن عاذلٍ ... غنىٌّ التفـــرّدِ عن مُســـعِدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ ... صبورٌ عن المـاء وهو الصَّدِى
وقورٌ وما الخُـرقُ من حازمٍ ... مـتى ما يَرُحْ شيبُه يغتـدى
ويا قلبُ إن قادك الغانيـاتُ ... فكم رسَنٍ فيك لم ينقـــدِ
أفِقْ فكأنى بهـا قـد أُمِرَّ ... بأفواهها العـذْبُ من مَوْردِى

وسُوِّدَ ما آبيضَّ من وِدّها ... بما بيّض الدهرُ من أَسودى
وما الشيبُ أولُ غدرِ الزمان ... بَلَى من عوائده العوَّدِ
لَحَا اللهُ حظّى كما لا يجودُ ... بما أَستحقّ وكم أَجتدى
وكم أتعلّلُ عيشَ السقيم ... أذمّمُ يومى وأرجُو غدى
لئن نام دهرِى دون المُنَى ... وأصبح عن نَيلها مُقعِدى
ولم أَلك أحمَدُ أفعالَه ... فلى أُسوةٌ بنى "أحمدِ"
بخير الورى و بنى خيرِهم ... اذا وَلَدُ الخيرِ لم يُولَدِ
وأكرمِ حىّ على الأرض قام ... ومَيْتٍ توسّد فى ملحَدِ
و بيتٍ تَقاصَرُ عنه البيوتُ ... وطال عَلِيًّا على الفرقَدِ
تحومُ الملائكُ من حولِه ... ويُصبحُ للوَحْيِ دارَ النَّدِى
ألا سَلْ "قريشا" ولُمْ منهُمُ ... مَن آستوجبَ اللومَ أو فنِّدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا ... ل لم تشكروا نعمة المرشِدِ؟
أتاكم على فَترةٍ فآستقام ... بكم جائرين عن المَقصِدِ
وولّى حميدا الى ربّه ... ومَن سَنَّ ما سنَّهُ يُحمَدِ
وقد جعلَ الأمرَ من بعده ... "لحيدَرَ" بالخبر المُسنَدِ
وسمّاه مولًى بإقرارِ مَنْ ... لو آتبَعَ الحقَّ لم يَجْحَدِ
فلتم بها — حسدَ الفضل — عنه ... ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَدِ
وقلتم : بذاك قضى الأجتماعُ ... ألا إنما الحقُّ للفرَدِ
يعزُّ على "هاشمٍ" و"النبىِّ" ... تلاعُبُ "تَيْمٍ" بها أو "عَدِى"
وإرثُ "عليٍّ" لأولاده ... اذا آيةُ الإرثِ لم تُفسَدِ
فمن قاعدٍ منهُمُ خائف ... ومن ثائرٍ قامَ لم يُسعَدِ

تَســـأَطُ بغيـا أكفُّ النفا ق منهـم على سـيِّدٍ سـيِّدِ
وما صُرِفوا عن مقام الصـلاةِ ولا عُنِّفوا فى بُنَى(١) المسـجِدِ
أبوهم وأمهُـمُ مَن علمـ ـتَ فانقُصْ مَفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يومِ "الحسين" عليـلًا له الموتُ بالمَرصـدِ
وما الشِّركُ لله من قبـله اذا أنت قستَ بمسـتبعَدِ
وما آلُ "حربٍ" جَنَوا إنمـا أعادوا الضـلال على من بُدِى
سيعلم مَن "فاطمٌ" خصمُهُ بأىّ نكالٍ غـدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ فبـاءَ بقتلك، ماذا يـدى؟
فـداؤك نفسى ومَنْ لى بذا ك لو أن مولًى بعبدٍ فُـدِى
ولَيتَ دمى ماسَقَى الأرضَ منك يقوتُ الرَّدَى وأكون الرَّدِى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ أمامَك يا صاحبَ المَشهَدِ
عسى الدهرُ يَشفِى غدًا من عدا ك قلبَ مَغيظٍ بهـم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحـالَ عسى يُغلَبُ النقصُ بالسـؤدُدِ
وقـد فعَـلَ اللهُ لكننى أرى كبِدى بعـدُ لم تبرُدِ
بسـمعى لقائمكم دعوةٌ يُلبِّى لها كلُّ مسـتنجِدِ
أنا العبـدُ وَالآلُكُمُ عَقـدُهُ اذا القـولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيـكم ودادى ودِينى معًـا وإن كان فى "فارسٍ" مولدى
خَصَصْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ ولولاكُمُ لم أكن أهتـدى
وجردتمـونى وقـد كنتُ فى يد الشِّرك كالصـارم المغمَـدِ
ولا زال شـعرِىَ من نائحٍ(٢) يُنَقَّـل فيكم الى مُنشِـدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسان اذا فاتنى نصرُكم باليـدِ

(١) بُنَى جمع بُنْيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

* * *

وقال وكتب بها الى الأجل العميد أبى منصور بن المزرّع فى رجب سنة تسع وأربعمائة ، وقد أحسن له السّفارة ، ووفى بكثير من الشرط فى المودّة

حرّم عليها نُزُهاتِ الوادى ... وولّها جوانبَ البلادِ
وغنّها إنْ طربَتْ لصافرٍ ... آذانُها برَجْعِ الحِلادِ
وآسِقِ بها الى العلا شوطَ الصّبا ... لعلّها تُعَدُّ فى الجيادِ (١١٢)
قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا ... مَكامرُ البيتِ وحَجْرُ[1] النادى
كم التمادى تطلب العفوَ به ؟ ... قد بلغ الجهدَ بك التمادى
لا بد إن عفت نحائطَ القذى ... أن تُخلَطَ الأرجُلُ بالهوادى
ما العزُّ بين الجُحُراتِ كامنا ... ولا الغنَى فى الطُّنُبِ والعِمادِ
تنفّسى يا نفسُ أو تطوّحى ... إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ
إن النفوس فاعلمى إن حُمِلتْ ... مسجونةٌ فى هذه الأجسادِ
خيرٌ من الزاد الوبيرِ والأذى ... أن أنفُضَ الأرضَ بغير زادِ
قد منّنى حتّى أخى وأنكرتْ ... كلابُ بيتى فى الدجى سَوادى
كم أحملُ الناسَ على علّاتهم ، ... قد جُلِّبَ[2] الظهرُ وجُبَّ الهادى
فى كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ فى ... جنبىّ وهو خاطبٌ ودادى
وحالمٌ لى فاذا استسعدتُه ... فى يوم رَوْعٍ مال بالرقاد
يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ ... فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ
اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من ... تبجّحى بكثرةِ الأعدادِ
أنسَ على ما خيّلتْ وخلّبتْ ... برقُها بوحشةِ انفرادى

(١) حجر جمع حجرة وهى الناحية . (٢) جلب : ظهرت به اجبة وهى لقشرة تعلو الجرح .

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتى[1] صـــدرى على فؤادى
قد ثَبِتَ النُّقصانُ بالفضـلِ وقد تَسلَّط العجـــزُ على السَّـــدادِ
فاجفُ الوُصولَ وارجُ من مدحتهُ فربَّما تُصـلِحُ بالفسـادِ
ولا تخـلْ ودَّ "العميد" منحةً سبقتْ بقصـدٍ أو عن اعتمادِ
لكنَّها جوهرةٌ يتيمـةٌ تقـــذفها البـــحارُ فى الآحادِ
جاءت بها — والوالدات عُقُمٌ — مُقْبِـلةً غريبـــةُ الولادِ
خلَّى له النـاسَ وبعْهـم غانيـا به عـــلى كثرتهم وفادِ
وحَكَّم المجـــدَ التليـــد فيهمُ وفيـــه واسأل أنسَ الرُّوادِ
بالأقربينَ الحاضرين منهُـــمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النـادى
وحبَّذا بين بيوتِ "أسَـدٍ" بيتٌ اذا ضـلَّ الضيوفُ هادى
أتلعُ طال كَرما ما حـــولَه تَشـــرُّفَ الربوِ[2] عـــلى الوهادِ
مُوضَحـــةٌ على ثلاثٍ[3] نارُهُ إن سَرفوا[4] النيرانَ فى الرَّمادِ
بيتٌ وسيعُ البـاب مبلولُ الثرى ممهَّـــدُ المجلسِ رَخصُ النزادِ
إنْ قوَّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنِّبَ بالآباءِ والأجـــدادِ
تُرفَعُ عن "محمـدٍ" سُجوفُهُ جـــوانبَ الظلمـاء عن زنادِ
أبلجُ يُورِى فى الدجى جبينُـــه على خبـــوِ الكوكب الوقَّادِ
ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمـــه بالأطيبَيْن : النفسِ والميـــلادِ
وجاد حتى صاحت المزنُ به : أكْرمتَ يا مُبخِّلَ الأجـــوادِ
من غِلمةٍ تحاشـدوا على النـدَى تحاشُـــدَ الإبلِ على الأورادِ

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم نتئ . (٢) الربو : الرابيـة وهى ما ارتفع من الأرض .
(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفيّة وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبّروا المجـدَ فسدّوا ما وَلَوا ... سـدَّ السيوف ثُغَـرَ الأغمـادِ

مشَوا على الدارس من طُرُق العلا ... ويَقتفي الرائحُ إثرَ الغـادي

يعتقبون دَرَجا ذروتُهـا ... تعاقُبَ العـقودِ في الصِّعادِ

مَنًى ووُحـدانًا الى أن أحدقوا ... بهالةِ ابـدرِ عـلى سِعـادِ

للكَلِم المعتـاص من سلطانهم ... عليـه ما للجحفل المنقـادِ

فهـم قلوبُ الخيـل مثـلُ ما هُمُ ... إن خَطَبـوا ألسنةُ الأعـوادِ

هل راكبٌ ؟ وضَمِنَتْ حاجتَـهُ ... غضبَ القِلاصِ سَمحةُ القيـادِ ؟

مُطلَقـةُ الباعِ ، اذا تقيَّـدتْ ... من الكَلالِ السُّـوقُ بالأعضـادِ ،

تدرُّ قبـل البوِّ أو تَطرَبُ من ... مَراحها قبـل غِناء الحادي ،

لا يُتهِمُ الليـلُ عليها فجـرَهُ ... ولا يَخافُ عدوةَ العـوادي ،

لها من الحوِّ العريضِ ما آشتهتْ ، ... همَّك في السرعةِ والإبعـادِ ،

تَصدُقُها — والّلحَظاتُ كُذُبٌ — ... عينـا قُطاميٍّ(١) على مِرصادِ :

بلِّغ — وفي عنابك الخيرُ — إذَن ... تحيـةً من كَلِف الفـؤادِ (١٢٣)

ينفُثُ فيها شجـوَه كما آشتفى الـ ... ـحدَثُ بالشكوى الى العُـوّادِ

قُلْ لعميـد الحيّ بين "بابلٍ" ... و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادي

ما آعتضتُ أو نمتُ على البين فلا ... بقـلقٍ بتٌّ ولا مهـادي

أشرقَني الشـوقُ اليك ظامئـا ... بالعـذْب من أحبـابيَ البرادِ

ما زارني طيفُ حبيبٍ هاجعٍ ... إلا آعترضتُ فتَنِي وسـادي

ولا نسَمتُ البـانَ نابـه الصَّبا ... إلا نضـوعتُك من أبرادي

---

(١) القطامي : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

والبـــدرُ يحكيك فيشقى ناظرى ... حتى كأنّ بيضَـــه(١) دآدى

فهـــل على ماء اللقـــاءِ بِلَّةٌ ... يُرْوَى بها هـــذا النزاعُ الصـــادى ؟

مالك لا تسمحُ بالقـــربِ كما ... تســـمحُ بالمـــالِ وبالإرفادِ ؟

أنت جـــوادٌ والنـــوى مَبْخَـــلَةٌ ... ما أعجبَ البخلَ من الجـــوادِ !

ملَكتَنى بالودّ والرفـــدِ معاً ... والرفـــدُ من جوالبِ الودادِ

وقاد عُنْقى لك خُلْقٌ سائسُ الـ ... ـجبل على صُـــعوبة آنقيـــادى

حملتُ منك اليدَ بعـــدَ أختِهـــا ... بكاهلٍ لا يحمـــلُ الأيادى

ولم يكن قبـــلَك من مآربى ... لمسُ يدِ المُجـــدى ولا من عادى

مَواقفا أعطيتَ فيهـــا مسرفا ... والبحـــرُ يعطينى على آقتصـــادِ

فـــا أذمُّ الحـــظَّ إلا قمتَ لى ... بمِنـــةٍ تكسبه أحمـــادى(٢)

ولا أنادى النـــاسَ إلا خِلتُنى ... إياك من بينهـــمُ أنادى

ولم تكن تَحُـــلُّبى برقُـــهُ ... لا لحيـــا آعتنّ(٣) ولا الإرشادِ

يحلِبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ ... مـــع النفـــاق ويدٍ جَمـــادِ

ماعرَفَتْ فيه الندى "طىٌّ" ولا ... أغنـــاه شـــيخُ البيتِ فى "إيادِ"

يدخُلُ فى مجدِ الكـــرام زائدا ... غبينـــةَ الأنســـابِ فى "زيادِ"

تسلَّطَ البخـــلُ على جَنـــابِهِ ... تسلُّطَ الخُلْفِ على الميعـــادِ

لَتعلَمَـــنّى شاكـــرا مجتهـــدا ... إن هو كافا(٤) عفـــوك آجتهـــادى

بكلّ مغبـــوطٍ بهـــا سامُهـــا ... كثيرة الأحبـــابِ والحسّـــادِ

مصمَّت لهـــا النـــدىُّ واسع ... نضيمَهـــا الضـــخمَ فمُ الإنشـــادِ

---

(١) بيضه أى ليالية البيض والدآدى، تقدم شرحها . (٢) أحماد جمع حمد . (٣) اعتنّ : ظهر وآعترض . (٤) يريد "كافأ" .

غريبـــة حتى كأنّ ما طُبِعَتْ ... من طِيبِ هذا الكَلِمِ المُعتادِ
ترفعُها عنايتي عن كُلْفة الـ ... ـلفــظِ ومعنى الغارة المُعادِ
تغشــاكَ إما بالتهـاني بالعــلا ... أو التهـادي بُكرةَ الأعيـادِ

* * *

قال وكتب بها الى الأمير أبي الذؤاد المفوّج بن علي بن مَزْيَد أحمى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه ويصف ملاقاته للأسد وظفره به ، وقد أطال سؤاله في ذلك ، وأنفذها في شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيك يومَ البينِ غَيْبي ومَشْهَدي ... وذلّ مَقامي في الخليط ومقعَدي
وقَوْلي ـ وقد صاحوا بها يُعجلونها ـ : ... تَشَدتكُمُ في طارقٍ لم يزوَدِ
أناخ بكم مستسقيا بعضَ ليلةٍ ... ولم يدْرِ أن الموتَ منها ضحى الغد
أتحمون عن عضّ الضراغم جاركم ... ويقتُلُني منكم غزالٌ ولا يدي ؟ (١)
ومذ زلتُ أبكي كيف حُلّت "بحاجرٍ" ... قُوَى جَلَدي حتى تداعَى تجلُّدي
وعنّفني "سعدٌ" على فرط ما رأى ... فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدي ؟
أسفتُ لحِلمٍ كان لي يومَ "بارقٍ" ... فأخرجه جهلُ الصبابة من يدي
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـرةٍ ... قتلتُ بها نفسي ولم أتعمّـدِ
تحرّشْ بأحقاف "اللوى" (٢) عُمرَ ساعةٍ ... ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : أزدد
وقل صاحبٌ لي ضلّ "بالرمل" قلبُهُ ... لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـدي
وسلّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتي ... وظلّ أراكٍ كان للوصل مَوعدي
وقل لحَمام "البيتين" مهلًا : تغنّ لي ... خليًّا من غرامي وغَرِّدِ
أعنـدكُمُ يا قاتلينَ بقيّـةٌ ... على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأن قَدِ ؟ (١٢٤)

(١) لايدي : لايدفع الدِّيَة . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما اعوجّ من الرمل واستطال .

و ياأهل "نجدٍ" كيف بالغور عندكم ... بقاءُ تهامىٍّ يهيم بمُنجـــد؟
ملكتم عزيزا رقُّـــه فتعطَّفوا ... على مُنكرٍ للذلّ لم يتعوَّد
أغدرا وفيكم ذمّةٌ عربيّـــةٌ ... وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليـــد؟
فليت وجوهَ الحيّ أعدتْ قلوبَهُ ... ففجَّر لى ماءً بهـا كلُّ جامـــد
وليتكُمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقَّنوا ... خلالَ الندى والجودِ من "آل مَزْيَد"
من الضيّق الأعذارِ والواسعى القِرَى ... اذا ما "جُمادى" قال لَبّيه: أبرُدى
ولفَّ على خيشومه الكلبُ مُقعيا ... يرى الموتَ إلا ما استغاث بموقد
وشـدّ يديه حالبُ الضَّرع غامرا ... على مُصفِرٍ(١) قد مسّه الجدبُ مُمْئِد(٢)
وباتَ غلامُ الحيّ يُسند ظهرَه ... من النَّضد(٣) الواهى الى غيرِ مُسند
هنالك يأوى طارقُ الليـل منهمُ ... الى كلّ رطْبٍ مُثمرِ النبتِ مُزْيِد(٤)
كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانِهِ ... رحيبِ الرواقِ مُنعمِ العيش مُرفِد
قليـل على الكُوم الصـفايا حنوُّهُ ... اذا السيف ردَّاهنَّ للساق واليـد
كمثـل "أبى الذوّادِ" لا متعلِّلٍ ... اذا سُئل الجـدوَى ولا بمُنكِّد
فتًى، بيتُـــهُ للطارقين، وسيفُهُ ... لهـامِ العـدا، والمـالُ للمتزوِّد
ويومـاه بما لاقصطباح سُـلافةٍ ... تُصـفَّقُ أو داعى صـباحٍ ملدَّد
وفَى بشروطِ المُلك وهو ابن مَهدِهِ ... وسُـوِّدَ فى خيط التميم المعـقَّد
وجادَ على العلّات والعـامُ أشهبٌ ... بأحمرَ من خير الرجالِ وأسود
ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه ... سِـنُوه التى حلّتْـه حليَـة أمرد
أناف بجَـدَّيه وأســندَ ظهرَهُ ... الى جبلين من "عَفيفٍ" و"مَزْيَد"

---

(١) المصفر: المفتقر. (٢) المئمد: القليل الماء. (٣) النضد: السرير.
(٤) المزيد: المتوفر، وفى الأصل "مزيد".

له فى ملوك الشرق والغرب منهمُ ... نجومُ السماء من ثرىً وفرقدِ
أيارا كبَ الوجناء يخبط ليلَه ... على الرزق لم يقصد ضلالاً لمقصدِ
ترامت به الآفاقُ يلتمسُ حظَّه ... فلم يُعطه التوفيقُ صفحةَ مُرشدِ
أنخها تُفرِّجْ همَّها "بمفوَّجٍ" ... وطلِّق شفاءَ العيش من بعدُ وآسعدِ
وَرِدْ جَمَّةَ الجودِ التى ما تكدَّرتْ ... بمَنٍّ وردْ ظلَّ المنى المورِقِ الندى
وبِتْ فى أمانٍ أن يسوءَك ظالمٌ ... علَتْ يدُه أو أن تُراعَ بمعتدى
حَماك "أبو الذوَّادِ" مالكُ أمرِدٍ ... على كلِّ حامٍ منهمُ ومذوَّدِ
أخو الحرب إمّا مُجمِدٌ يومَ أُوقدتْ ... وإمّا شَبوبٌ نارَها غيرَ مُجمِدِ
له الخطوةُ الأولى اذا السيفُ قصَّرتْ ... به ظبتاه فهو يوصلُ باليدِ
اذا ابتدر الغاراتِ كان سهامُها ... له من قتيلٍ أو أسيرٍ مصفَّدِ
خفيف أمام الخيلِ رسغُ جوادِه ... اذا الخوفُ أقعَى بالحصانِ المعرَّدِ
ولما كفى الأقرانَ فى الروّع وآرتوتْ ... صوارمُه من حاسرٍ ومسرَّدِ[1]،
تعرَّضَ للأُسدِ الغِضابِ فلم يدعْ ... طريقا لذى شِبلين منها ومُفرِدِ
حماها الفريسُ أن تُطيفَ بأرضه ... وشرَّدَها عن غابها كلَّ مَشرَدِ
وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ... ممزَّقةً فى صَعدةٍ أو مُهنَّدِ
ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهمَ[2] واحدا ... جرى مُلبِدٌ يشتدُّ فى إثر مُلبِدِ
نَصبتَ له لم تستعن بمؤازرٍ ... عليه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعِدِ
وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ ... متى تتمثَّلْه الفرائصُ تُرعَدِ

(١) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع، والمسرّد: لابس السَّرْدِ وهو الدرع. (٢) الأدرع الجهم: الهجين العابس.

فأوجرتُه (١) نجـلاءَ أبقتْ بجنبِه ... فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَـدَّدِ
تَحـدَّرُ منها لَبَّتاه وصـدرُه ... على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّـدِ
فلم تُغنِـه إذ خان وثبـةُ غاشمٍ ... ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصـدِ
رأى الموتَ فى كفَّيك رأْىَ ضرورةٍ ... فأوردَ منـه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ
وأحرزتَها ذكرا يخصُّـك نفعُه ... تَناقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشـهَدِ
جمعتَ الغريبيْن: الشجاعةَ والنَّدى ... وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِـدِ
وقمتَ بإحكام السـيادةِ ناظما ... عُراها فما فائتك حُلَّةُ سـيِّدِ
أتانى من الأنبـاء أنك مغـرمٌ ... بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى
حبيبٌ اليك أن تُرَفَّ عرائسى ... عليك تَهادَى بين شـادٍ ومُنشِدِ (١٢٥)
متى ما تَجِـدْ لى عنـد غيرك غادةً ... مخـدَّرةً تَغبِطْ عليهـا وتَحسُـدِ
فقلتُ: كريمٌ هزّه طيبُ أصله ... وواحدُ قومٍ شاقه مـدحُ أوحدِ
وليس عجيبا مثلُها عنـد مثلِهِ ... اذا هبَّ يقظانا لهـا بين رُقَّدِ
فأرسـلتُها تُلقِى اليـك عنانَهـا ... وغـيرُك أعيتْـه فلم تتقـوَّدِ
لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائبٌ ... بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفـدِ
يرى كلَّ شىءٍ فانيـا ورداؤه ... على عُنْقِ باقٍ فى الزمان مخـلَّدِ
متى تجزِها الحسنَى بحقِّ ابتـدائها ... تَزُرْكَ بعينٍ تملأُ السـمعَ عُوَّدِ
فوفِّرْ على عجـز البُعول صَـداقَها ... وعرِّسْ بها أمَّ البنين وأولدِ
وصُنْها وكرِّمْ نُزْلَهـا إنّ بيتَهـا ... كبيتك فى أفْق السماء المشـيَّدِ
وكن "كعليٍّ" أوفكن لى "كثابتٍ" ... وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

(١) أوجرته: طعنته، وفى الأصل "أرخرته".

* * *

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبي طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها — على أنّ المزارَ بعيدُ — خيالٌ سَرَى والساهرون هُجودُ؟
طوى "بارقا" طيَّ الشجاعِ "وبارقٌ" خِطارٌ يفلّ القلبَ وهو حديدُ
يجوبُ الدجى الوحشيَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكِسرُ البيتِ عندك بيدُ!
نعم! تُحمَلُ الأشواقُ والعيسُ طُلَّعٌ ويَمشى الهوى والناقلاتُ قعودُ
وتتسع البلوى فبيضى بصمِّ جبانٌ عن الظلّ الخفوقِ بحيدُ
من المبلغى؟ — والصدقُ قصدُ حديثِه — وفى القولِ غاوٍ نقلُه ورشيدُ،
عن الرمل "بالبيضاء": هل هيّنَ بعدنا وبانِ "الغضا": هل يستوى ويميدُ؟
وهل ظبياتُ بين "جوّ" "ولعلع" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟
سوانحُ للرامين، تصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةُ تصيدُ
ويوم "النقا" خالفنَ منّا فعاذلٌ خلىٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ
سفكنَ دمًا حرًّا وأهونُ هالكٍ دمٌ حكمتْ عينٌ عليه وجيدُ
حملن الهوى منّى على ضُعف كاهلٍ وهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ
تطلعتِ الأشرافَ(١) عينى زيادةً لقلبى سفاها والعيونُ ترودُ
وما علمتْ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ
وقالوا: غدًا ميقاتُ فُرقةِ بيننا فقلتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ
غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟
وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

(١) الأشراف جمع شَرَف وهو: ما شَرُف وارتفع من الأرض.

وقد كنتُ أبكى والفــراقُ دعَا بِهِ[1] دلالُ أدارِى عطفَــه وصــدودُ
فما أنا من بَينٍ رجاءُ إيابِهِ وعــودٌ تُقضَّى دونه وعهــودُ[2]
هل السابق الغضبانُ يملكُ أمرَهُ ؟ فما كلّ سير اليعملاتِ[3] وخيدُ !
رويدا بأخفــافِ المطىّ فإنما تداسُ جبــاهٌ تحتها وخــدودُ
عذيرى من الآمال أمّا ذراعهــا فرحبٌ وأمّا نَيلُها فزهيــدُ
يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّــه وأنّ زمامَ الليث حيث تقــودُ
ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ دَفوعٌ، وسهمٌ للزمان سـديدُ
سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعذّلٌ متى يُبدِ قبلَ السكر فهو معيــدُ
فمستــبردٌ يَهــنَى بأوّلِ شَربةٍ ومستكثرٌ يثنــى له ويزيدُ
ونَحّى "ابنَ أيّوبٍ" فأصبح صاحيًا وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليــدُ
فلو لم يُبرِّزْ يومَ كلِّ فضيــلةٍ كفَى أنه يومَ الحِفــاظِ وحيدُ
حــوانى وأيّام الزمان أراقمٌ وهَبَّ عتِى والخطوبُ أســودُ
ولبّى دعائى والصــدَى[4] لا يُجيبنى بيقظتِــه والسامعون رُقــودُ
وأنهضَنى بالدهر حتى دفعتُــه وجانبُــه وعْرٌ علىّ شــديدُ
وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختَهــا وقُلّصَ عنى الظــلُّ وهو مديدُ
كفَّلَ لى بالعيش حتى رعيتُــهُ على وخَــمِ الأيّام وهو رغيــدُ
وأطلقَ من ساقٍ حتى أنافَ بى على أرَبِى والحادثاتُ قُيــودُ
فما راعنى من عقّنى وهو واصــلٌ ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ

(١) فى الأصل "دعابة" . (٢) فى الأصل "عهود" . (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . (٤) الصدى : رجوع الصوت وترديده .

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصلٌ ... اذا ضلَّ عن طُرقِ العلاء بليدُ
عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيدُ صرَّحتْ ... به عن صفاياها عَطارِفُ صِيدُ
كرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم ... ويُنظَمُ شملُ المجدِ وهو بديدُ
يَسُودُ فتاهم فى خيوطِ تميمِهِ ... ويَشْأَى(١) كهولَ الناسِ وهو وليدُ
إذا نزلوا بالأرضِ غبراءَ جعدةً ... أماهُ(٢) حصًّا فيها وطابَ صعيدُ
كأنَّ نصوعَ الروضِ حين تسحَّبتْ ... مآزرُ منهم فوقَها وبُرودُ
سخا بهمُ أنَّ السخاءَ شجاعةٌ ... وشجّعهم أنَّ الشجاعةَ جودُ
لهم بابنهم ما للسحابةِ أقلعتْ ... من الروضِ يومَ الدَّجْنِ(٣) وهو صَخودُ
وماغابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ ... مضَى وبنوه الصالحون شُهودُ
"أبا طالبٍ" لايُخلف الفخرُ دوحةً ... وأنتَ لها فرعٌ وبيتُك عُودُ
بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فُطِيِّرتْ ... رياحُك عَصفًا والبُغاةُ رُكودُ
وشالَ بكَ القِدحُ المعلَّى وحطَّهم ... وليس لهاوٍ بالطباعِ صعودُ
فلوكلَّمتْك الشمسُ، قالتْ: لحِقتَ بى ... علاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟
أقرَّ لك الأعداءُ بالفضلِ عَنوةً، ... ومعترفٌ من لم يسَعْهُ جُحود
وكيف يُمارِى فى الصباحِ معاندٌ ... وقد فَلَقَ الخضراءَ منه عمودُ؟
تسمَّعْ من الحسادِ وصفَك واغتبطْ ... فأعجبُ فضلٍ ما رواه نديدُ
وإن نَكَلوا شيئا فإن فصاحتى ... وراءك كنزٌ فى الكلام عتيدُ
وبين يدَىْ نُعماك منّى حميَّةٌ ... لها مَدَدٌ من نفسها وجُنودُ
أذا رامحتْ حربًا رأيت كماتَها ... تلاوَدُ من أطرافها وتحيدُ

(١) يشأى : يسبق . (٢) أماه : كثر ماؤه . (٣) الصَّخود : الشديد الحرّ .

أذودُ بها عن سَرح عِرضك كلّما نطلَّع فيـــه للفريسةِ سِيدُ (١)
اذا نَشَطتْ من عُقلةِ الفكرِ أرسلتْ بهـا طَلِقاتٍ وثْبُهنّ شُـــرودُ
مطايا لأبكار الكلام اذا مشى على حِسْكِ (٢) السَّعدانِ (٣) منه رديدُ
نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى على دِينِها بين الجِنانِ خُلودُ
ويحسدنى قومٌ عليها وحظُّها شقىٌّ وحظّ المقرفاتِ سعيدُ
تمنَّوا على إخصابهم جدبَ عيشها وأنهُمُ خُصُّوا بها وأُفيدوا
ولم أحسبِ البلوى عليها مُزاحِمٌ ولا أنَّ ضنكَ العيش فيه حسودُ
لها النسبُ الحرُّ الصريحُ ، اذا طغت عليك إماءٌ غيرها وعبيدُ
يزورك منها — والنساءُ فوارِكٌ — كواعبُ تُصفيك المودّةَ غِيدُ
لهنّ جديدٌ من نوالك كلّما أتى طالعا يومٌ بهنّ جديدُ
فنى كلّ يومٍ مهرجانٌ مقلَّدٌ بهنّ ونيروزٌ لديك وعيدُ

* * *

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنّاها بجهلِ الظنِّ "سعدُ" وما هى من مطايا الظنِّ بعدُ
وخالَ ظهورَها قُعُدا لياتا فرحّلَ وهى مُزلِقةٌ تكدُّ
وراوحَها القِعابُ (٤) ليعتشيها (٥) فضرعٌ زلَّ أو خِلفٌ يَنِدُّ

---

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مَرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتغشيها" ولم نعثر لها على تفسير يتفق ومعنى البيت .

برائنٍ أوسعتهُ دما صبيبا ... وفى قومٍ فذا أقطٌ وزُبدُ(١)

لعلك "سعدُ" غرَّك أن تراها ... على الجمراتِ(٢) تأكلُ أو تَردُ

وأنّ العامَ أخلفها فجاءتْ ... حبائلَ فى حبائلها ثُمَدُّ

مفلّلةً(٣) على الأعطانِ فوضَى، ... هبيتَ تظنُّ أنّ الفلَّ(٤) طردُ

وما يُدريكَ من يحمى حماها ... ويحضُرُ(٥) ذائدا عنها ويبدو(٦)

وإنّ وراءها لقمًا تلظَّى ... وأسيافًا وألسنةً تحدُّ

ومنتقصَ الطبائع إن أخيفت، ... لَشدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُدُّ

اذا صاح الإباءُ به ترَّى ... يُطيع الغيظَ أغلبُ مستبدُّ

ومشحوذا! من الكَلِم المصفَّى ... به الأعراضُ تُفرَى أو تُقدُّ

اذا عصَبَ اللَّهاةَ الريقُ ناضت ... دوافقُ منه واديها تُمدُّ

تحاشدُ "يَعربٌ" إن نال نصرا ... وتغضَبُ بانطباعٍ له "مَعدُّ"

فما لك — لا أبا لك — تتّقيها ... وفيها السيفُ والخصمُ الألدُّ

طغَى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى ... وخافَ فُتورها دأبٌ ووخْدُ

لئن دَرِدَتْ فلا يَغررْك منها ... أراقمُ يزدردنَ وهنّ دُردُ

وإن نأت البلادُ برافديها ... فقومٌ آخرون لها ورِفْدُ

ولم يَقعُدْ عن المعروف جُندٌ ... من الكرماء إلا قام جُندُ

وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى ... رجالا لفَّهُمْ سَفَرٌ وبُعدُ

ولم أعدَمْ نوالَهُمُ ولكن ... وجوهٌ بعدَها ألمٌ ووجدُ

---

(١) الأقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض . (٢) الجمرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية . (٣) مفلة : مهزومة . (٤) الفلّ : الانهزام . (٥) يحضر : أقام بالحضر . (٦) يبدو : ينزل البادية .

سقى الله "ابنَ أيوبٍ" سماءً ... تروح سحابُها ملأى وتغدو
وإلا ماءُ خـديه حياءً ... وإلا خـلّةً منـه وودُّ
وأىّ خلالِه كرمًا سقاه ... كفى وسقى نميرٌ منـه عِدُّ
أخوك فلا تغيّره الليالى ... اذا لم يُرْعَ عند أخيك عهدُ
ومولاك الذى لا الغلُّ[1] يسرى ... به ظَهْرًا ولا الأضغانُ[2] تحدو
تَضَيَّفْهُ وأنت طريدُ ليلٍ ... رمى بك فيه إقتارٌ وجهدُ
وقد ألقت بكلكلها "جُمادَى"[3] ... لخيط سمائها حلٌّ وعَقْدُ
وهبَّتْ من رياح "الشام"[4] صرٌّ ... عسوفٌ[5] لم ترضها قطّ "نجدُ"
وأبوابُ البيوت مقـرّناتٌ[6] ... فـلا نارٌ ولا زادٌ مُعَـدُّ
تجِدْ وجهًا يضىء لك الدياجى ... كأنّ جبينَه فى الليـل زَندُ
وكفًّا تهرُبُ الأزماتُ منها ... تَرَقرقُ سَـبْطةً والعـامُ جَعدْ
وبِتْ وقِـراك مَيسَرةٌ وبِشرٌ ... وزادُك نُخبَـةٌ وثراك مَهدُ
تمـامَ الليلِ وآخذُ بصالحات ... من الأخلاق إن تَرَكَتْك نَعدو
شمائلُ أصلُها حَسَبٌ وخـيرٌ[7] ... وزهرةُ فعلِها كرمٌ ومجـدُ
تقلّبـها أبًا نابًا مـؤدٍّ ... كما أخَذَ الغـلا إرثا يُرِثُّ
تَتِمُّ به اذا حُسِبَ المساعى ... عن الآباءِ عِـدَّةُ ما يُعَـدُّ
تفرَّدَ بالمحاسن فى زمانٍ ... تنكَّرَ أن يقـالَ : البدرُ فردُ

---

(١) فى الأصل "الفيل" . (٢) فى الأصل "الأضغان" ، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت ، ومعناه : أن مولاك من لا يخذ الحقـد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضغن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى . (٣) يقال للشتاء عند العرب : جمادى . (٤) الصرّ : الريح الشديدة الصوت والبرد (٥) العسوف : التى تمرّ فلا يثنيها شىء . (٦) مقرّنات : مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها ، وفى الأصل "مقرّمات" . (٧) الخير : الشرف والأصل .

وجاراه على غَرَرٍ رجالٌ ... لهم شدٌّ وليس لهم أشُدُّ
فقصَّر كلُّ مشفِخٍ هجينٍ ... ومرَّ أقبُّ[1] يطوى الشوطَ نهدُ[2]
ثقيلٌ والحلومُ مشعشعاتٌ ... نصيعُ العِرضِ والأعراضُ رُبدُ
ملكتُ به المنى وعلى الليالى ... ديونٌ بعدُ لى فيه ووعدُ
وكان نوالُ أقوامٍ ضمانا ... أسوِّفه وجودُ يديه نَقْدُ
أحدَّ بنصره نابَىَّ حتّى ... فَرَسْتُ به الخطوبَ وهنَّ أُسْدُ
وعاد أشلَّ كفُّ الدهر عنّى ... بأنك لى به سيفٌ[3] وزندُ
فلا يعدَمْك معتمرٌ[4] غريبٌ ... له بك أسوةٌ[5] : صبرٌ وحَمْدُ
ولا يَفْقِدْك منّى مستضىءٌ ... بهَدْيِك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ
وردَّ عليك رائحةً ثنائى ... عزائبُ[6] مثلُها لك يُستَرَدُّ
خمائصَ أو يَجِدنَ اليك مرعًى ... خوامسَ[7] أو لهنَّ ندالك وِرْدُ
حواملَ من نتاج الجود ملءَ ال ... جيوب فمالُها شكرٌ وحمدُ
من الكلم الذى إن كان حدٌّ ... لغايات الفصاحة فهو حدُّ
سبقتُ به المقاولَ[8] مستريحا ... ففتُّهمُ وقد نَصِبوا وكدُّوا
تكرُّ عليك واحدةً ومَثنَى ... بهنَّ وفودُها ما قام "أُحْدُ"
ليوم المهرجان وكان عُطْلًا ... وشاحٌ من فرائدها وعِقْدُ
سلبتُ الناس زينتَها ضنينا ... بها وبرودُها لك تستجدُّ
يعتقِّى من الحِرص اقتناعى ... بما تُولِى، ومولى الخرصين

(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .
(٣) فى الأصل "بآية" . (٤) المعتمر : الزائر والقاصد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعد عن المرعى ، وفى الأصل "غرائب" .
(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

* * *

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته ، وأنفذها اليه

أمكنتِ العاذلَ من قِيادِها ... فانتزع الرحمةَ من فؤادِها

ولوّنت أخلاقَها فقد غدا ... بياضُها يشِفُّ عن سوادِها

والغانياتُ عَطفةً وصدْفَةً (١) ... يُجنَى لك الحنظلُ من شهادِها (٢)

لا يملأُ الراقدُ من أحلامِه ... إلا كما يملك من ودادِها

أعلقُ ما كنت بها طماعةً ... أنصلُ ما تكونُ من إسعادِها

متى تُكلَّفْ من وفاء شيمةً ... تعدْ الى شيمتها وعادِها

آهٍ على الرقّةِ فى خدودها ... لو أنها تسرى الى فؤادِها

"بالبان" لى دَينٌ على ماطلةٍ ... يميس غصنُ البان فى أبرادِها

سلّطتِ الوجدَ على جوانحى ... تسلُّطَ الخُلفِ على ميعادِها

يا طَربَا لنفحةٍ "نجديةٍ" ... أعدِلُ حرَّ القلبِ باستبرادِها

وما الصَّبا ريحىَ لولا أنها ... اذا جرت هبَّتْ على بلادِها

قل لمُحيِض العيسِ (٣) أغباسَ (٤) السُّرَى ... تأكلُ عَرضَ البيدِ فى إسآدِها (٥)

موائرا ترى السَّلامَ (٦) رمضًا (٧) ... بينَ سُلامَاها (٨) الى أعضادِها

ذُبالُها تحت الدجى عيونُها ... لا تستشير النجمَ فى رَشادِها

تبغى الندَى وأين من مُرادِه ... طىُّ الفلا وأين من مُرادِها

---

(١) الصدفة : الإعراض والصدّ ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباس جمع غَبَس وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السلام : شجر . (٧) الرمض : حرّة الحرّ . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرسِن البعير أو عظامٌ صغارٌ طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنـدَكَ روضٌ وسحابٌ مغـدِقٌ ... إن صدَقَتْ عينُك فى آرتيادِها

أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحرٌ ... أعـذبَها اللهُ عـلى وُرّادِها

أيدٍ تَساوَى الجودُ فيها فآكتفَى ... أن يسألَ المُعْتامُ(١) عن أجوادِها

سـلالةٌ من طينةٍ واحـدةٍ ... مجموعُها يوجَـدُ فى آحادِها

إرْمِ بهـم على الليالى تَنْصِـفْ ... بهِـمْ على ضعفك من شِدادِها

وشِمْهُـمُ على الخطوب تَنْتَضِـلْ(٢) ... ببيضِ "السُّرَيْجِيّاتِ"(٣) من أغمادِها

أنظرْ اليهـم فى سماواتِ العلا ... مرفوعـةً منهـم على عِمادِها،

ترَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههـم ... ثابتـةَ السـعودِ فى أوتادِها

لهـم سناها ثمّ ما ضرّهُـمُ ... نقصانُ ما يكثُر من أعدادِها

أسرةُ مجـدٍ شـهِدَ الفضلُ لما ... عُقّبَ عنها بعـلا أشـهادِها

حسـبُك من آياتها دلالةً ... أن "كمالَ الملك" من أولادِها

حَيِّ وقـرِّبْ غُرّةً أبيّـةً ... كان النـوى يألَمُ من بعادِها

ما سكنَتْ أرضٌ الى حضـورِها ... إلا بكتْ أخرى عـلى آفتقادِها

تـودُّ حبّـاتُ القـلوب أنها ... ـما سافَرتْ ـ تكون من أرفادِها

عاد الى الدولة ظـلُّ عزّهـا ... وقـرّت الأرواحُ فى أجسـادِها

وآمتلأتْ من شُهبها أفلاكُها ... وصُمّت الغيـلُ عـلى آسـادِها

يخطبُهـا قومٌ وفى حِبالكم ... نكاحُها وهـم بنـو سـفادِها

يا عجـزَ من يطمعُ فى قنيصِها ... والليثُ جثّامٌ عـلى مِرصادِها

أنت لها بعـدَ أبيـك ثُغـرةٌ ... غيرُك لا يكون من سـدادِها

---

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرّد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين آسمه سريج .

وجهُـك فى ظلمائها سراجُها ... وكفُّك الذائبُ فى جمادِها
صدعتَ بالفضـلِ وكنتَ معجزا ... تُطيعُك النفـوسُ باجتهـا ها
وأذعنتْ طـائعـةً مختـارةً ... بميلها إليـك وآنقيـادِها
إن ضلَّت الآراءُ باجتماعها ... كفتْك آراؤك بانفـرادِها
أو عُبِدَتْ أموالُ قـومٍ، شَرُفَتْ ... نفسُـكَ أن تكون من عُبّادِها
كفتْكَ كسبَ العـزّ نفسٌ حرةٌ ... أحرزتِ العـزّةَ من ميـلادِها
وقدّمتك — فاجتُبيتَ سيّدا — ... أرومـةٌ طرفُك من تلادِها
تُعـدِى معـاليها الى أبنـائها ... على زمان "هودِها" و"عادِها"
لكم قُـدامَى الأرضِ أو سُـلافُها ... كنتم رُبًّا والنـاسُ فى وهادِها
وجمّـةُ الملك تجـمُّ لكُمُ ... ما طاب وآسـتَغزَرَ من أورادِها
اذا نطقتم سـكتَ النـاسُ لكم ... على قُوَى الأنفـاسِ وآمتـدادِها
كأنما ألسـنُكم لهـاذمٌ(١) ... على القنـا تُشرَع فى صِعادِها
ميمـونةُ النَّقْبـة(٢) أين وُجِّهَتْ ... حَلّتِ المزنُ عُرى مزادِها
وإن سُـئلتم لم تَرَوا أموالَكم ... نامِيـةً إلا عـلى نفـادِها
هَنَـا المعالى منـك يا خيرَ أبٍ ... يُكنَى بهـا جمعُـك من بدادِها
ذاك، وسلْ مذ غبتَ عن نفسى وعن ... ضراعـةٍ لم تكُ فى آعتيـادِها
ونَبـوَةِ الأعين عـنّى فيكُمُ ... كأننى صُـيِّرتُ من سُهادِها
أحَرتُ نفسى بل قعدتُ حَجْـرةً(٣) ... مزمَّـلا بالذلّ فى بِجـادِها(٤)
مخفِّضا قـولى متى قيـل : صَهٍ ... خشعتُ بينَ هائهـا وصادِها

(١) اللهاذم جمع لَهذَم وهو اللسان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) حجرة : ناحيـة .
(٤) البجاد : كساء مخطّط من أكسية الأعراب .

بينَ رجال كنتُ فضائلي عنهمْ كمُون النار فى زنادِها
لم أرجُهُم ولِيتنى لم أخشَهم قلوبُهم نَتْنٌ من أحقادِها
تستُفتنى باللوم فيكم ألسنٌ أقوالُها نصغُر فى اعتقادِها
فكيفَ ـ معْ قناعتى ـ ظنَّك بى هل كان إلا المصُّ من ثمَدِها
خلَّفتنى جوهرةً ضائعةً بقلّةِ الخبرةِ من نُقّادِها
لا حظَّ لى أرجوه عند غيركم من عُدَّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائى الى حِفاظكم سكونَ أجفانى الى رقادِها
أنتم لنفسى فى الحياة وبكم أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى من عَزمِكم الصبرَ ومن جهادِها
وهل ـ وقد أمرضها بعادكم ـ كنتم بعَطفِ الذِّكرِ من عُوّادِها؟
بلى ! لقد واصلَها ما بلَّها من عَونِ أيديكم ومن إرفادِها
وقُمتُمُ على النوى بلفتةٍ من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِى نَقصِها فى سَعةِ الأيّام وازديادِها
وعند نعماك لها إن قُضِيتْ دَينٌ عليه جُملةُ اعتمادِها
مؤجّلا قبل النوى وبعدَها من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكِّل الجودَ على نفسك فى قضائها ومُرْهُ بافتقادِها
واعلم بأن الحالَ فى تسويفها تَضيقُ حتى الوعد فى إبعادِها
واسلم لها واسع بها سوائراً(١) بعفوها منك وباجتهادِها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها تصوَّبَتْ أو هى فى إصعادِها

(١) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا "سوا".

رَجْلَى ولا يعلَفُها ركـبُ الفـلا ... بِبابِـلِ البيـدِ ولا جِيادِهـا
تَسـترقِصُ الأسمـاعَ أو تخـالَنى ... أستخلِفُ "الغريضَ"(١) فى إنشـادِها
كأنّهـا عـلى الطـروس أنجمٌ ... لألأتِ الخضـراءَ(٢) بآتقادِهـا
يكاد أن يبيضَّ من نُصوعها ... ما سوَّد الكاتبُ من مـدادِها
تنفَّسُ الأيّامُ عن صـوابِهـا ... فى وصـف نُعماكم وفى رشادِها
ما دمـتُمُ حَلْيـا لمهـرجانِهـا ... فينـا وتيجـانا عـلى أعيادِهـا

* * *

وقال وكتب بهـا الى ناصر الدين بن مُكرَم يشكر ما تقدّم من إنعامه، ويتنجّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائدِ ... يقتاف آثارَ الصـباحِ الشـاردِ؟
هيهـات تلك نَشـيدةٌ مطـولةٌ ... عنـد الغـرام على المحبِّ الناشـدِ
وكفاك عجزا من شجىً ساهرٍ ... يرجُـو الرِّفادةَ(٣) من خلىٍّ راقـدِ
يا إخوةَ الرجلِ الغـنىِّ أصابَ ما ... يبـغِى وأعداءَ المُقـلِّ الفاقـدِ
صـاحبتُ بعـدكمُ النجومَ فكلُّكم ... إلبٌ(٤) عـلىّ وكلهنّ مساعدى
فاذا ركدن فمن تحـيُّرِ أدمعى ... واذا خفقن فمن نُبُوٍّ وسـائدى
دُلُّوا علىَّ النـومَ، إن طريقَـهُ ... مسـدودةٌ بعـواذلى وعوائدى
وعلى الثنيَّـةِ "باللوى" متطلِّعٌ ... طِلْعِى بمَـربأة الرقيب الراصـدِ
يَقـظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطَّأتْ ... عيناه عن قلبٍ مُريدٍ عامـدِ

(١) الغريض : هو مغنّ اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ولُقّب بالغريض لأنه طرئ الوجه غضّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطريّ من كلّ شئ . (٢) الخضراء : السماء . (٣) الرفادة : المعونة . (٤) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

متجاهـلٌ ما حالُ قلبي بعـدَه ... جهـلَ العليم وغائبٌ كالشاهدِ
والى جَنوب "البانِ" كلّ مُضرَّةٍ ... بالبـان بين موائسٍ وموائدِ
يمشين مشى مَهًا "الحواءِ" تخالُهنّ ... عنهنّ غيطانَ النقا المتقاودِ (١)
متقـلداتٍ بالعيون صـلائفًا ... وطُلًى ولم يحمِلنَ ثقـلَ قـلائدِ
نافثهنّ السـحرَ يوم "سويقـةٍ" ... فاذا مَكايدهنّ فـوق مكايدي
كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ ... أن الحبالةَ عُقلةٌ للصائدِ
أنكرتُ حلمي يومَ "بُرقةِ عاقلٍ" ... وعرفتُـه يوم اللقاءِ "بغامدِ"
وجعلتُ سمعي من نبال عواذلي ... غرضَ الغـرورِ لكلّ سهم قاصـدِ
انقلبُ قلبَكَ فامضِ حيث مضى الهوى ... بك من مضـلٍّ سعيُهُ أو راشـدِ
ما دام يدعـوك الحسانُ فتًى وما ... دام الذوائبُ في قـرابِ الغالـدِ
فوراء يومك من صـباك ضُحًى غدٍ ... وعدٌ يسوءُك منـه صـدقُ الواعدِ
ولقـد سريتَ بليـلهِ وبصبحه ... فحمًا وفي لهَبِ البياض الواقـدِ
فاذا المشيبُ مع الإضاءة حـيرةٌ ... واذا الشـبابُ أخو المضلّ الواجدِ
ومطيّـةٍ للهـوِ عزَّ فقـارُها ... وصليفُهـا (٢) عن راكبٍ أو قائدِ
مما أحتمي من رحله بقماصـهِ ... ومن الخشاش بأنفـه المتصـايدِ
أعيا على ركب الصّـبا أن يظفروا ... بمغـالقٍ من غرزِها (٣) ومعاقـدِ
قد رُضتُها فـركبتُ منها طَيِّعًا ... ينصاعُ بين مَراسـني ومقاودي
وأخٍ رفعتُ له بحيَّ على السُّـرى ... والنجمُ يسـبحُ في غـديرٍ راكـدِ
فوعَى فهبَّ يحُـلُّ خيـطَ جفونهِ ... بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العاقدِ
عيران قام على الخطار مساعدا ... نصرَ الحسـامِ وفـدتُهُ بالساعدِ

(١) المتقاود : المتسنى . (٢) الصليف : عرض العنق . (٣) الغرز : ركاب الرحل .

حتى رجمتُ الليـــلَ منـــه بكوكبٍ فتقَ الدجَى وأضاء وجهَ مقاصـــدى
فردينِ سَومَ الفـــرقدين تمـــايلا مســـتأمنين على طريق واحـــدِ
ومحجَّبٍ تدع الفـــرائصَ هيبـــةً أبوابُه من خافـــقٍ أو راعـــدِ
تتســـابقُ الجَبَهاتُ دون مريرِه للفوزِ بين معـــفِّرٍ أو ســـاجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آســـتنزاله بضـــعائفٍ منهـــا ولا بجـــلائدِ
أذِنَتْ عليـــه وســـائلى وترفَّعتْ أستارُه لمقاصـــدى وقصـــائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى أبـــوابَه فكأنهنّ مقـــالدى
"كعمانَ" أو مَلِكٍ "عُمانُ" دارُهُ دانى النوالِ على المَـــدى المتباعدِ
رانٍ علىّ عـــلى آرتفـــاع سمـــائه برٍّ بوفـــدِ مـــدائحى ومحامـــدى
بعثتْ بصـــيرتُه نَفَـــاقِى(١) عنـــدَهُ والشـــعرُ يُبْضَعُ فى أوانٍ كاســـدِ
وقضَى عـــلى أنى الوحيـــدُ بعلمـــهِ فكفَى بذلك أنه من شـــاهدى
ســـبق الملـــوكَ فبـــذَّهم متمهلا جاروا ومرَّ على الطـــريق القاصـــدِ
ومضَى عـــلى غُـــلَوائهِ متســـنِّما(٢) لم ترتفقْ(٣) مســـعاتُه بمُعـــاضـــدِ
طيّان(٤) لم يقبض البوازلَ قبـــلَه جَـــذَعٌ ولم يُطِلِ القيامَ بقـــاعـــدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أين نجارُها منـــه، فباهلَهـــا بفخـــرٍ زائدِ
وسمـــا يمـــاجـــدُ قومَه بنجومها فثَـــنَى ولم يظفَـــرْ بنجمٍ ماجـــدِ
غرسَ المعالىَ "مُكرَمٌ" فى تربهـــا فجنت حـــلاوةَ كلّ عيشٍ باردِ
حَجْرًا عـــلى الأقـــدارِ فيما نفَّـــذَتْ أحكامَها من صـــادرٍ أو واردِ
لن تعـــدَم الآفاقُ نجما طالعـــا منهـــا ينـــورِ إثرَ نجـــمٍ خامـــدِ

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعين .
(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

فالسيفُ منهم فى يمين المنتضى ... كالسيف منهم فى يمين الغامدِ
هم ما هُمُ ! وتفرّقت آياتُهم ... فى المجد ثم تجمّعتْ فى واحدِ
أحيت لهم أيامُ محيى الأئمةِ الـ ... ـعافى وهبّتْ بالرّقودِ الهاجدِ (١٣١)
وتسنّمتْ درَجَ السماء بذكرهم ... أيامُ آثارٍ لهم ومشاهدِ
وإلى "يمين الدولة" افتقرت يدٌ ... فى الملك لم تُعضَدْ سواه بعاضدِ
نظمَ السياسةَ مالكٌ أطرافَها ... لم تستعنْ عَزَماتُه بمُرافدِ
وأقامَ ميلَ الدولتين مؤدّبٌ ... بثقافه خَطَلَ الزمانِ المائدِ
سبقَ الرجالَ بسعيه وبقومه ... والمجدُ بين مكاسبٍ ومَوالدِ
جَرت البحارُ فما وفت بيمينه ... فكأنّ ذائبَها يُمَدُّ بحامدِ
ضمّنتْ بجوهرها وما فى حِرْزِها ... من مُنفساتِ ذخائرٍ وفوائدِ
فاستخرجتْها كفُّه وسيوفُه ... فسخَتْ بها لمؤمّلٍ ولرافدِ
نامَ الرعاةُ عن البلادِ وأهلِها ... عجزا وعيناه شهابا واقدِ
وحمَى جوانبَ سَرحِه متنصّفٌ ... للشاء من ذئب الغضا المستاسدِ
واذا الأسودُ شممن ريحَ عرينه ... كانت صوارمُه عِصِىَّ الذائد
ما بين "سَرْبُزَةٍ"(١) الى ما يَستقى ... "وادى الأُبُلّةِ" هابطا من صاعدِ
يقظانُ يضرب وهو غيرُ مبارزٍ ... عزما ويطعن وهو غير مُطارِدِ
كفٌّ له تحمى وسيفٌ يُنتضَى ... ولحاظُ راعٍ للرعيّةِ راصدِ
واذا بغَى باغٍ فباتَ يرومُه ... باتت صوارمُه بغيرِ مَغامدِ
ومطوِّحٍ ركِبَ الخِطار فردَّه ... أعمى تحيَّر ماله من قائدِ
كفّ الرّعاعَ وجاء يطلبُ حاجةً ... عسراءَ فى كفّ الهمامِ اللابدِ (٢)

(١) سربزة : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل "اللائد".

يَرمى الكواكبَ وهى سـعدٌ كلُّها ... بمناحسٍ من جَـدِّه ومناكدِ
جُنَّتْ به الأطماعُ فاستُغوِى بها ... يصبو الى شيطانها المتمارِدِ
خُبِّرتُه يبغى "عُمانَ" وأهلَها ... فعرفت مَصدَرَه بجهل الوارِدِ
لم يُنجِه والموتُ فى حَيزومِه (١) ... ما ضمَّ من حَفْلٍ له ومحاشِدِ
جمحَتْ به غرّارةٌ من حَينِه ... قذفته فى لَهَواتِ صِلٍّ زارِدِ (٢)
نُسِفَتْ بأطراف الرماحِ جنودُه ... طَوْحَ السنابلِ (٣) عن شفارِ الحاصِدِ
من راكبٍ — وفؤادُه من صخرةٍ — ... جَوفاءَ (٤) أمَّ فواقِرٍ وأوابِدِ؟ (٥)
حدباءَ تسلك من عثار طريقها ... حُدْباً ذواتِ نواقصٍ وزوائدِ
فتظلّ طورا فى عنانِ سمائها ... صُعُدا وطورا فى الحضيض الهامِدِ
تختبُّ قامصةً ولم تطأ الثرى ... وتظلُّ لا فى سبسبٍ وفدافِدِ
يظمأ بها الركبانُ وهى سوابحٌ ... فى غامرٍ تيّارُه متراكِدِ
شنعاءَ لو طَرَقَ الخيالُ بمثلها ... عينى لما أطبقتُ مقلةَ راقِدِ
بلِّغْ — وليتَ رسائلى تقتصّها ... شفتى وغائبَ المؤخَّرِ شاهدى —
أو ليت قلبى كان قلبَك أصمعا (٦) ... فى أضلعٍ صُمِّ العظامِ أجالِدِ
فأخوضَ بحرا من حميمٍ آجنٍ ... يُفضِى الى البحرِ الزُّلالِ انبارِدِ
قُلْ إن وصلتَ "لناصرِ الدين" آستمع ... قِتْرًا تُجمِّعُ كلَّ أنيسٍ شارِدِ
يا خيرَ من حَملتْ ظهورُ صواهلٍ ... فى المُلكِ أو ضمَّتْ صدورُ وسائدِ
وتعصّبتْ بالنور فوق جبينه ... عَذَبُ (٧) اللواء تَحُفُّ تاجَ العاقِدِ
أنا عبدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا ... ما نعمةٌ نيطت بآخرَ جاحِدِ

(١) الحيزوم : وسط الصدر . (٢) زارد : اسم فاعل من زرد الشيء : بلعه . (٣) فى الأصل "السنابك" . (٤) يريد بالجوفاء السفينة . (٥) الفواقر والأوابد : الدواهى .
(٦) الأصمع : الذكىّ . (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلف على رأس الرمح .

أغنيتنى عن كلّ مذمومِ الجَدَا ... ألفاه مضْطَرًّا بوجهٍ حامدِ
ونفضتَ عن ظَهرِى بفضلك ثِقلَ ما ... أوعيتُ من نُوبٍ على شدائدِ
كان الزمانُ يُبشّر لى ضِغْنا فقد ... أصلحتَ لى قلبَ الزمان الفاسدِ
وحفظتَ فىّ تكرُّما وتفضُّلا ... ما أذكَرتْكَ قدائمى وتلائدى
ذِمَمٌ لو آعتَصَمَ العُداةُ بمثلها ... عقدوا بهنّ لديك خيرَ معاقدِ
ومن الذى يُرعَى سوالك نازحٌ ... عن لحظه نأى المحلّ مُباعدِ
متناقصِ الخطواتِ عنك ذكرتَهُ ... فى سَكرةِ المُلكِ العظيم الزائدِ
أوليتَنى فى آبنى ونفسى خيرَ ما ... أوليتَ فى ولدٍ شفاعةَ والدِ
فلذاك كرَّ على مشقّة طُرقِهِ ... وكررتُ أطلبُ من نداك عوائدى
تُعطى المنى ونعود نسألُ ثانيا[1] ... فنعود حبًّا للسماح العائدِ (١٣٢)
وتموتُ حاجتنا وينفَدُ فقرُنا ... وسؤالنا ونداك ليس بنافدِ
فاحكم بسنّتك التى شَرَعَ الندى ... لك شرعَها حُكمَ القديرِ الواحدِ
كَفِّلْ علاك بحاجتى واكفف يدى ... عن كلّ جَعد الكفّ جَعد الساعدِ
فالناسُ غيرَك من تضيق مجالتى ... فيه وتُقتَل بالمِطالِ مَواعدى
صنْ عنهُمُ شَفَتى ودعنى واحدا ... فى الدهر أشربْ من قَليبٍ واحدِ
حاشا لمجدك أن تُسدَّدَ خَلّتى ... بمُشارِك لك فىّ أو بمساعدِ
وآنصتْ لها غُرَرًا لمدحك وحده ... يُنظمنَ بين قلائدٍ وفرائدِ
من كلّ مخلوعٍ لصادقِ حسنها ... فيها عذارُ العابدين لعابدِ
عذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ، ... ما كلُّ عذراءٍ تُرَفُّ بناهدِ
تجلو عليك بيوتُها ما أُنشِدت ... حوراءَ ذات وشائح وقلائدِ

(١) فى الأصل "رتعود سأل" .

كعقيلة الحيّ الحُـلولِ تمشّت الـ ـخُيَلاءَ بين وصائفٍ وولائـدِ
مما سبقتُ بخاطري أمّاتها وحويتُـهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجـزى فى نظمها فعنا ضـ من راكعٍ أو ساجـدِ
قد آمنَ الشـعراءُ بعـد فسوقهم بدلائلى فى فضلها وشـواهدى
وأطاع كلُّ منـافق إن سَـره أو ساءه وأقـرَّ كلُّ معانـدِ
فاعطفْ لمهديها وحامـلِ ريها وآحـلْ له حقَّ السفير الرائـدِ
وأوددْهُ عن عَجَـلٍ كما عوَّدتَه برواجعٍ من نعمتيك روائـدِ
وأشـددْ يدًا بالخافقين مملـكا عنقيهـما من أنعُـمٍ ونجائـدِ
فى دولةٍ أختِ السـعودِ وعـزّةٍ أمِّ النجـوم وعمـرِ ملكٍ خالدِ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

نهوَى — وأنت مُحَلَّأٌ[1] مصدودُ — ماءَ "التّهيب" ، وإنه مورودُ
ويُقرّ عينَك — والوصالُ مصوَّحٌ — غصنٌ يرِفُّ على الحمى ويميـدُ
واذا رغبتَ الى السحاب فحاجةٌ لك مايصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهـدَك لم يحُـلْ أنّـا لحيٍّ فى "النخيـل" عهودُ ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنّبٌ يقضى عليـه غادرٌ مـودودُ
قَسَما — ولم أُقسمْ بسكّانِ الحمَى عن ريبـةٍ لكنه تأكيدُ —
لهُمُ — وإن منَعوا — مكانُ مَطالبى وهُمُ — وإن كرِهوا — الذين أريدُ
أتنسَّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ منهم وتُجـدِبُ أرضَهم فأرودُ
وأكذّبُ الواشى الىّ بغـدرهم وعلى الحـديث دلائلٌ وشُهودُ

(١) المحلأ : الممنوع عن الماء .

فهم الصديقُ ولا مودةَ عندهم ... وهم الأقاربُ والمزارُ بعيدُ

و"بأيمن العلمين" من أبياتهم ... ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصيدُ

لله اذا جمع الرجالُ حلومَهم ... حلّ العزائمَ خصمُهُ المعقودُ

يَرمي القلوبَ وما دمٌ بمطوَّح ... ما لم تُرِقه مقلةٌ أو جيدُ

وعدَ الوفاءَ وليس منه فغرَّني ... ومن السرابِ اذا اغبرَّت وعودُ

أعنو له وأنا العزيزُ بنفسه ... وأَلِينُ عمدا والفؤادُ جليدُ

واذا عرفتُ فثبتُ من دِين الهوى ... جذبَ الغرامُ بمقودي فأعودُ

ولقد أحنّ الى "زرودَ" وطيبتي ... من غير ما فُطرتْ عليه "زرودُ"

ويشوقُني عَجَفُ(١) "الحجازِ"، وقد ضفا(٢) ... رِيفُ(٣) "العراق" وظلُّه الممدودُ

ويُطَرِّبُ الشادي فلا يهتزُّني ... وينالُ مني السائقُ الغِرِّيدُ

ما ذاك إلّا أنّ أقمارَ الحمى ... أفلاكُهنّ اذا طلعنَ البيدُ

طفقَ العذولُ ـ وما ارتقدتُ برأيه ... فيمن يُبدِئُ ناصحا ويعيدُ

فأنا الذي صدعَ الهوى في أضلعي ... ما لا يَلُمُّ العذلُ والتفنيدُ

ياصاحِ ، هل لك من خليلٍ مؤثِرٍ ... راضٍ بأن يشقى وأنت سعيدُ؟

متثاقلٍ حتى تقرَّ، وربما ... بَقِيَ رقادَك ساهرٌ مجهودُ

يَلِقَ القوارعَ(٤) أو يقيك لسانُه الـ ... مشهورُ فيك وعزمُه المشدودُ

كذُبالةِ(٥) المصباحِ أنت بضوئها ... في الليلةِ الظلماءِ وهي وَقودُ

من دون عِرضك نَثْلةٌ(٦) منضوضةٌ(٧) ... منه وإن لم يقضها "داودُ"(٨)

---

(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضفا : فاض وسبغ .

(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القوارع جمع قارعة وهي الحجر والشتيمة .

(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفي الأصل "ثَلَّة" . (٧) في الأصل مفضوضة .

(٨) داود هو داود النبي عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع وإحكامها .

فـلَّ الثَّنايا فإن عَيِقتَ بواحـدٍ ... فاشدد يديك عليه فهو وحيـدُ

لا يُبعِـدِ اللهُ الألى حفظ العلا ... بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشِـيدُ

واذا (١) اقشعرّ العامُ أغدقَ من ندًى ... أيديهـم الوادى ورَفَّ العـودُ

واذا سرى نقصُ القبائل أقبلتْ ... تَنمِى المكارمُ فيهـمُ وتـزيدُ

لا يعـدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُـمُ ... شخصٌ على وجـه الثرى موجودُ

بيتٌ ، بنو عبـدِ الرحيم طُنـوبُهُ ... وأبوهُـمُ سـاقٌ له وعمـودُ

تطغى رياحُ البِرِّ فيـه عواصـفا ... ولهـا بأثناء (٢) البيوت ركـودُ

مِن حولِه غُـرَرٌ لهم (٣) وضّـاحةٌ ... تبيضّ منهنّ الليالى السـودُ

واذا أناخ به الوفـودُ رأيتَهـم ... ـكرما ـ قياما والوفودُ قعـودُ

فاذا أردتَ طُـروقَهُ لمَّـةٍ ... "فأبو المعالى" بابُهُ المقصـودُ

جاراهُـمُ فأراك غائبَ أمسهم ... ـ رؤيا الزيادة ـ يومُهُ المشهودُ

ومضَى يُريدُ النجمَ حـتى جازه ... شوطا، فقال النجمُ : أين تريدُ؟

شرَفٌ "كمالُ الملكِ" فى أطرافه ... حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ

فصَـحَ (٤) البوازلَ وهو قارحُ عامه ... وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ

يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ ... تسرى به وبنـو الطريق هُجـودُ

عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها ... مترَوِّحا وحسـودُه مكـدودُ

ووفَى بأشراطِ الكفايةِ داخلا ... من بابِها ورِتاجُها (٥) مسـدودُ

عبِقٌ بأرواح السـيادة عِطفُـه ... فكأنه فى حِجـرها مولودُ

لو طاول الغمرُ (٦) المغفَّلُ خُلقَـه ... شبْنا تعلَّم منـه كيف يسودُ

---

(١) اقشعرّ : لم يُصب ربًّا . (٢) فى الأصل "بأبيات" . (٣) فى الأصل "له" .

(٤) فَصَح : من قولهم : فصحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءُه . (٥) الرتاج : الباب العظيم .

(٦) الغمر : الجاهل الأبله .

هَشُّ لصدر اليوم إذ مالَه ... فيه وإقبالُ قريبه المنقودُ
لا قبلَ نائله اذا سُئل الندى ... وعدٌ ولا قبل اللقاءِ وعيدُ
واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ ... فهى الشجاعةُ أو أخوها الجودُ
أفنى الثراءَ على الثناءِ وعلمُه ... أنّ الغناءَ مع الثناء خُلودُ
ولربما بُلِى البخيلُ بموقفٍ ... يُخزيه فيه مالُه المعبودُ
لك من خلائقه اذا مارسته ... جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شديدُ
فمع الحفيظة قسوةٌ وفظاظةٌ ... حتى كأنّ فؤادَه جُلمودُ
ومع المودّة هزّةٌ وتعطّفٌ ... فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ
يا أُسْرةَ المجدِ التى لم تتبهْ ... عن مثلها الأيامُ وهى رُقودُ
كُفِىَ الزمانُ العينَ فى أعيانكم، ... إن الزمانَ عليكُمُ محسودُ
لولاكُمُ نُسِىَ الثناءُ ولم يكن ... فى الناس لا رِفدٌ ولا مرفودُ
ولكان قُلُّ الفضلِ أو ميسورُه ... يفنَى فَناءَ كثيره ويَبيدُ
بكُمُ رددتُ يدَ الزمانِ، وباعُهُ ... متوسّعٌ بمساءتى ممدودُ
وحملتُ مضعوفا ثقائلَ خطبه ... وهى التى تُوهِى القُوَى وتؤودُ
وخلطتمونى بالنفوس فمن يقعْ ... جُنُباً[1] فإنى منكُمُ معدودُ
واذا تلوّنَ معشرٌ بتلوُّنِ الـ ... ـدُّنيا فعهدِى فيكم المعهودُ
وعُنيتَ أنت بخَلّتى فسددتَها ... ونظمتَها بالجودِ وهى بديدُ
واذا تقاعدَ صاحبٌ عن نُصرتى ... فالنصرُ حظّى منكَ والتأييدُ
فلأجزينّك خيرَ ما جازَى امرؤٌ ... وجَدَ المقال فقالَ وهو مُجيدُ
مما يُخالُ قوافيا ومعانيا ... بالسمع وهو جَبائرٌ وبُرودُ

(١) جُنُباً : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ[1] فى ليل الطَّوَى ... ويقادُ تتبعــه المهارى القُــودُ
من كلِّ مخـلوعٍ عِذارُ محبِّهـا ... فيهـا ومعــذورٍ بهـا المعمودُ
وكأنهـا بين الشفاهِ قصـائدًا ... فــوق النحــورِ قلائدٌ وعقــودُ
عذراء تحسُدها — اذا أنصفتهـا ... أوقاتهـا منك — الكعابُ الرودُ
يحتثُّها شــوقا لك النــيروزُ أو ... يأتى فيُطلِعَها عليــك العيــدُ
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ ... تمضى بهـا الأيَّامُ ثم تعــودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها ... إلَّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاسـدون علاكُمُ، ... لا خــيرَ فيما ليس فيــه حسودُ

(١٣٤)

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرِّض بذكر بعض من جهِلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أنشُدُ[2] من عهد "ليلَى" غيرَ موجودِ ... وأقتضـيها مُعـارا غــيرَ مردودِ
رِضًا "بليلَى" على ما كان من خُلُقٍ ... جَعْــدٍ ونَيــلٍ كثيرِ المنّ معــدودِ
من العــزيزات[3] أنسـابًا وأخبيةً ... فى صفوةِ البيتِ حلَّتْ صفوةَ البيــدِ
محبُّهـا قــد قضى فى كلِّ معــركةٍ[4] ... قضيّةٍ عن بلاغ الأينُــقِ القُــودِ
تُقَــلُّ من غيرِ ذُلٍّ عنــد أسرتهـا[5] ... بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ
كم ليــلةٍ قد أرتنى حشوَها قمــرا ... وجوهُها البيضُ فى أبياتِها السُّــودِ

(١) السفر : المسافرون . (٢) دخل على هــذه الكلمة الزحاف المطوىّ وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله

* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *

(٣) فى الأصل "العريرات" . (٤) لعله يريد كلّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية . (٥) الأباديد : المتفرقة .

من كلِّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ ... غصنا من البان معقودا بجُلمودِ
ما مستقيماتها للريح مائلةً ... لكن براهينُ عزٍّ لى المواعيدُ
لُثْنَ العناقيدَ(١) فوقَ الخمرِ(٢) واختلفت ... شِفاهُهنَّ على ماءِ العناقيدِ(٣)
ورُحن يَرمين بالألحاظ مقتنصًا ... فما تصيَّدنَ إلا أنفُسَ الصِّيدِ
يا ليلَ(٤)، لو كان داءٌ تقتلين به ... داويتَه كان داءً غيرَ مقصودِ
اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى ... من نومِ ليلكِ عن همّى وتسهيدى
ما ماء "دِجلةَ" ممزوجا بغدركُمُ ... وإن شفَى باردًا عندى بمورودِ
ولا صَبَا أرضكم هبَّت تروِّحنى ... وفاءَ وعدٍ لكم بالطلِّ مكدودِ
حسبى! سَمحتُ بأخلاقى فما ظفِرت ... فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ
وصاحبٍ لينُ أيّامى وشدّتُها ... فَرقٌ له بين تقريبى وتبعيدى
يمشى ابنَ ذأيةَ(٥) فى ظلِّ الرجاءِ معى ... وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ(٦)
وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهمنى ... خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضودِ
يهوَى الأناشيدَ أن يكذِبن سُمعتَه ... ولا يَهشُّ لأعواضِ الأناشيدِ
أغشاه غشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما ... رأَى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ
يجودُ ملءَ يدى بالوعدِ يمطُلُه ... والمطلُ من غيرِ عُسرٍ آفةُ الجودِ
قَدَى الرجالُ وإن ضنّوا وإن سمحوا ... فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ
لا يحسبِ المالَ إلا ما أفاد به ... ثناءَ محتسبٍ أو ذِكرَ محمودِ
كم جرَّبَ المدحُ أملاكا وجرَّبه ... فصبَّ ماءً وحَتُّوا من جلاميدِ
أملسُ لا عِرضُه الوافى بمنتقِصٍ ... يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

(١) يريد بالعناقيد الغدائر . (٢) الخمر جمع خمار وهو شبه النقاب . (٣) يريد بماء العناقيد الخمر . (٤) يريد بالليل . (٥) ابن ذأية : الغراب . (٦) السيد : الذئب .

مَن سائلٌ بالكرام السابقـين مَضَوا ... وخلّفـوا الذِّكرَ من إرثٍ وتخليـدِ؟
هذا "الحسينُ" فخذ عينًا ودعْ خبرًا ... من الروايات عنهـم والأسانيـدِ
من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ ... وعامريهـا وما ذَلّت لتشـييدِ
كم حاملٍ منهُـمُ فضلًا، حمائلُهُ ... تُحَـلُّ عن عاتقٍ بالتـاج معـقودِ
لم يبرحوا أجبُـلَ الدنيا وأبحرَها ... أصلين من شاهقٍ منهـا ومُمـدودِ
وحسَّنوا فى الندى أخلاقَ حلمهمُ، ... إنَّ الندى فى النُّهى(١) كالمـاء فى العودِ
يا آل "عبدِ الرحيم" اختار صُحبتَكم ... تأنُّـقى فى اختياراتى وتجـويدى
أُحِبُّكم وتُحِبُّـونى وما لَـكُمُ ... فضـلٌ ورُبَّ ودودٍ غـيرُ مودودِ
قرابةٌ بيننا فى "فارسٍ" وَصـفتْ ... عنّى وعنكم طهاراتِ المواليـدِ
لا زال مـدحِىَ مـيراثا يقابلـكم ... عنّى اذا الشـعرُ فى آذانكم نُودِى
بكلِّ حسـناء لو أحفَشْـتُها(٢) برزتْ ... للخـاطبين بروزَ الغـادةِ الرُّودِ(٣)
من نسج فكرى تردّ العارَ دونكُـمُ ... ردَّ السهام نبتْ عن نسج "داودِ"
ما أنبتتْ لِىَ شَجْـراءُ الرجاء بكـم ... خِصـبا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيـدِ
وما تبـاحُ المُـدَى مشـحوذةً أبدا ... صبيحةَ النحـرِ(٤) من نحرٍ ومن جيـدِ (١٣٥)

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرَتْنى أمُّ "سعدٍ" أنَّ "سعدا" ... دونهـا ينهـدُ(٥) لى بالشَّرِّ نَهْـدَا
غيرةً أن تسمعَ الشَّربَ تُغنّى ... باسمها فى الشِّعر والأظعانَ تُحدَى

(١) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعلها "اللَّها" جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لا يتفق ومعنى البيت. (٢) أحفشتها: ألزمتها الحِفْش وهو البيت الصغير من الشَّعر. (٣) الرود: الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل "الغيد". (٤) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى و بالثانية أعلى الصدر. (٥) ينهد: يسرع.

قلت : يا لَلحبِّ من ظبيٍ رخيم ... صدتُه فاهتجتُ ذؤبانا (١) وأُسْدا

ما على قومك أن صار لهم ... أحدُ الأحرار من أجلكِ عبدا !

وعلى ذى نظرةٍ غائرةٍ ... بعثتْ سُقما الى القلب تَعدَّى !

قَتلتْ حين أصابت خطأً ... وقِصاصُ القتلِ للقاتِل عمدا

أتُراني طائعًا أضرمتُها ... حُرَقًا تاكلُ أضلاعى ووجدا !

سبّبتْ لى فيكِ أضغانَ العدا ... نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا

وعلى ما صفحوا أو نقَموا ... ما أرى لى منكِ يا "ظبيةُ" بُدّا

أَجتلى البدرَ فلا أنساكِ وجها ... وأرى الغصنَ فلا أسلاكِ قدّا

فاذا هبَّتْ صَبا أرضكمُ ... حمَلتْ تُربَ "الغضا" بانا ورَندا

لامَ فى "نجدٍ" وما استنصحتُه ... بلِّى لا أراه الله "نجدا" !

لو تصدّى رشأُ "السَّفح" له ... لم يلُم فيه ولو جارَ وصدّا

يصلُ الحولُ على العهد وما ... أنكرَ التذكارُ من قلبىَ عهدا

أفيروَى عندكم ذو غُلّةٍ ... عدِمَ الظَّلْمَ (٢) فما يشربُ بَردا ؟

رُدَّ لى يوما على "كاظمةٍ" ... إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا

وحمانى من زمانٍ خابطٍ ... أبدا فى عَطَفى شَلًّا وطردا

كلّما أبصر لى تامكةً (٣) ... كدَّها أو ردّها عظما وجلدا

يصطفى الأكرمَ فالأكرمَ من ... نُجَبى أنفسَ ما كنتُ مُعِدّا

كلّما شُدّتْ بظهرى هَجمةٌ (٤) ... ركب الشرَّ لها ركضا وشدّا

واقعا فى كلّ مَن كثّرنى ... بيدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

---

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (٣) التامكة : الناقة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى مئَبَّدة .

أُكلَةَ الصُّعلوكِ ، لا أُسنِدُ ظهرا ... فى الملمّاتِ ولا أشتدُّ عَضْدا
غاب أنصارى فمن شاء آتقانى ... حذَرَ الإثمِ ومن شاء تعدَّى
شَقِيَتْ من بعدهم نفسى وهم ... أىّ برجٍ نزلوه كان سعدا
قل لأملاكِ ثأى عنّى بهم ... ناقلُ الأقمار قُربا ثُمّ بُعدا :
يا سيوفى يوم لا أملك عزّا ... وعيونى يوم لا أُورَد عِدّا
وشبابى إن دنوتم كان غضّا ... واذا رحتم مع البين آستُرِدّا
عجبا لى كيف أبقى بعدكم ... غير أن قد خُلِقَ الإنسان جَلْدا !
غلبَ الشوقُ فما أحمِلُ صبرا ... وجفا النأىُ فما أسألُ رِفدا
أنا من أغراسكم فآنتصروا لى ... قبل أن تهشِمَنى الأيامُ حصدا
يا رسولى ، ومتى تَبلُغْ فقل ... خيرَ ما حُمِّل مأمونٌ فأدّى :
يا « كمالَ الملكِ » يا أكرمَ مَن ... يمّمتْه ظُعُنُ الآمالِ تُحدَى
يا شهابا كلّما قال العدا : ... كاد يخبو ، زاده الرحمنُ وقدا
يا حساما كلّما ثلّمه الـ ... ـضربُ راق العينَ إرهافا وحدّا
ما براك اللهُ إلا آيةً ... فتن الناسَ بها غيًّا ورُشْدا
وثَباتُ الليثِ إن أُنكِر فى ... شَدّةٍ كان مع الأخرى أشدّا
كلّما عاند فيها حاسدٌ ... ظهرتْ بهرةُ مَن يتحدّى
ولكم أنشرتَ إعجازا بها ... من فعالٍ طُويتْ لحدا فلحدا
وبخيلٍ خاملٍ أعديتَه ... كرما نال به الحمدَ ومجدا
وزليقٍ منتهى شاهقةٍ ... حيثُ لا يصعَد إلا مَن تردّى
طَأمَنَ[1] الجوُّ لها وآنحدرت ... قُلَل الأجبال حتى كنّ وُهْدا

(١) طأمن : انخفض .

حَرَصَ الكوكبُ أن يطأعَها فهوَى عنها وما سدّ مَسَدّا
واذا الكيدُ مشى يَسْمُتُها(١) طامعاً عاد وقد خاب وأكدى
خفّ من خطوك فيها ناهضٌ لم يسرْ فى النيه إلا سار فصدا
يأخذ المجلسَ من ذروتها مالكا تدبيرَها حَلًّا وعَقْدا
طرتَ فيها والعدا واقعةٌ تأكل الأيدى(٢) لها غيظا وحقدا
يُلعَنُ الناسُ على عجزهمُ ويُحيَّا بالمساعى وتُفَدَّى
فَرَّعَت للمجد منكم دوحةٌ كنتَ من أنضرها عُودا وأندَى
تربةٌ بورك فى صَلصالها أنجبتكم والدا طاب ووُلْدا
طينةٌ — أعجِبْ بها — مجبولةٌ أخرجتْ سَلْمى وسَهْلانَ وأُحُدا(٣)
يا عيونَ الدهرِ ، لا زالتْ بكم قَذِياتٍ أعينَ الحسّاد رُمدا
وتقاضَى الملكُ عنكم بسيوفٍ منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غمدا
كلّما سُوِّدَ منكم باخيهِ صارمٌ يَمَّمَ أمضَى وأحَدَّا
وبَقيتم لبقايا كَرَمٍ بكمُ يُلحَمُ فى الناس ويُسدَى
لم تكن اولاكمُ أرماقُها أثرا يَخفَى ولا عينا تبدَّى
يا نجومى ، لا يَرُعْنِى منكمُ غائرٌ باخٍ(٤) ولا خِيدانُ ندّا
نوِّروا لى وأسرجوا فى طُرُقى أقطعِ الأرضَ بكم جَمْزًا(٥) ووَخْدا
أجمع الحصباء فى مدحكمُ بلسانى وأعدُّ الرملَ عدّا
وكما أرغمتُ من قبلُ بكم آنُفًا(٦) آبيةً أجدعُ بَعْدا

(١) يسمتها : يقصدها ، وفى الأصل "يسمنها" . (٢) قوله "تأكل الأيدى" كناية عن عضهم أيديهم من الغيظ . (٣) أحد وما قبله أسماء جبال . (٤) فى الأصل : "غابر" ؛ وباخ : خمد وانطفأ . (٥) الجمز : الإسراع فى العَدْو . (٦) آنُف جمع أنف .

أبـــدا أنصُبُ نفسى دونكم ... عَلَمـا فـــرْدا وخَصَّـاما ألدَّا
غـــير أنى منـــك يا بحـــرَ النـــدى ... أشتكى حظّى فقد خاب وأكدَى
عادةٌ تُمْنَـــعُ أو تُقطَع بتّـــا ... وحقـــوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِـــدَّا
ووعـــودٌ يجمحُ المطـــلُ بهـــا ... أن يرَى ميقاتُهـــا عنـــدك حدَّا
بعـــد أن قد كنتَ أحفاهم وفاءً[1] ... لى وأوفاهم لمـــا أسلفتَ عهـــدا
حاش للسُّـــحبِ التى عُوِّدتُهـــا ... منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثـــةٌ من مذكِرٍ لم يألُ فى الـ ... ـصـــبر للحاجـــةِ والأوطارِ جهـــدا
بعث النـــيروزُ يستعجلكم ... سائلا فى الوعد أن يُجعـــلَ نقـــدا
وهْوَ اليومُ الذى من بعـــده ... ســـوف تُفْنون مدى الأيام مدّا
فاقبـــلوه شافعـــا وارضـــوا به ... زائرا عـــنِّىَ بالشـــعرِ ووفـــدا
أنتمُ أكـــرمُ من يُهدَى له ... والقوافى خـــيرُ ما يُحبى ويُهدَى[2]

* * *

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدَّتْ "بُنعمانَ" على طول الصدَى ... دعها فليس كلُّ ماءٍ مَوردا
لحاجـــةٍ أمسَّ من حاجاتها ... تخطَّاتْ أرزاقَهـــا تعمُّـــدا
ترى وفى شـــروعها ضـــراعةٌ ... حرارةً على الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جَـــذَبَتْ بخَطْمِهـــا[3] ... وكلُّ ذى عزٍّ وما تعـــوَّدا
لا حَمَلَتْ ظهورُها إن حمَلَتْ ... رِجْـــلا على الضيم تقَـــرُّ أو يدا
إن لم يلِقْهـــا جانبٌ مقاربٌ ... فارمِ بها الجنبَ العريضَ الأبعـــدا

(١) فى الأصل "أخفاهم" . (٢) فى الأصل "يجبى" . (٣) الخطم : مقدّم أنف الدابة وفمها .

خاطرْ ولو أردى الخطارُ ، إنه ... لا يأمن الذلّةَ مَن خاف الردَى
لا يُحرزُ الغايةَ إلا بائعٌ ... بغلظةِ العيش الرقيقَ الرَّغدا
يَطوى الفلا لا يستضيفُ مؤنسا ... والليلَ لا يسأل نجما مرشدا
اذا رأى مَطعمةً خافضةً ... عوَّذَ بالله ومالَ الجَيدا
يُعطى جِذابَ الشهواتِ عُنُقًا ... شمساءَ(١) لا تعرف إلا الصَّيدا(٢)
تمارسُ الأيّامُ منه كلّما ... حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا
يعزِفُ(٣) إلا عن فُكاهاتِ الهوى ... وقد رأى فيه الحبيبَ المسعِدا
أقسمَ بالعفّةِ : لا تيّمهُ ... ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوَّدا
ولا قَرى(٤) صَبابةٌ فؤادَه ... إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا
شأنَك يا بنَ الصَّبَواتِ فالتمِسْ ... غيرى أخًا ، لستُ لهنَّ ولَدا
مولاك من لا يخلُق الشوقُ له ... وجدا ولا طولُ البعاد كمدا
كأنما يَشهدُ من عَفافه ... على المشيبِ يافعًا وأمردا
موقّرا متّعظا ، شبابُه ... كأنما كان مَشيبا أسودا
تحسبه نزاهةً وكرمًا ... ومجدَ نفسٍ "بابن أيوبَ" اقتدَى
فِدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌ(٥) ... لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى
يرضَى بما ساق اليه غَلَطُ الـ ... ـحظّ ولم يسعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالةِ الأيّام فى ... وِجدانه ما لم يكن لينشُدا
تحسبه جاء يريد غيره ... فضلَّ عن طريقِه وما اهتدى
وحاسدٍ ، فخارُه معْ نقصِه ... فى الناس أن عادى العلا وحسَدا

(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيد : رفع الرأس كبرا وزهوا . (٣) فى الأصل "يعرف" . (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر .

تُلهِبُ نارُ الغـــيظ فى ضلوعـــه جمـــرًا يقول حـــرُّها : لا بَرَدا
زال بنصرِ مجـــيدِه غيران ما (١) نازَلَ إلا ظافـــرا مؤيَّـــدا
مدّ ابن أخـــذِ العـــلا فناله يدا تبـــرعُ ساعـــدا وعَضُـــدا
تَقضى له الأقلامُ من حاجاتها ما آستقضت الذابلَ والمهنَّـــدا
ما زال يرقَى فى سماواتِ العـــلا بروجَها الأســـعدَ ثمَّ الأســـعدا
مصاعـــدا نجومَها حتى اذا تطاولتْ خلَّفَها وصـــعِدا
رأى المعالى بالمساعى تُقتضَى والشرفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى
فصاعبَ الأُســـودَ فى أغيالها صرامـــةً وجاودَ الغيثَ جَـــدَا
وكلما قيـــل له : قِفْ تسترحْ جزتَ المدَى ، قال : وهل نلتُ المدَى ؟
ناهضَ ثِقلَ الدولتين فكفى الـ ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتـــلَدا
وكان للأمرين منـــه جُنَّـــةٌ مسرودةٌ وصـــارما مجـــرّدا
فاغترسَ "القـــادرُ" (٢) يـــومَ نصرِه وآستثمرَ "القـــائمُ بالأمر" (٣) غـــدا
قام بأمرٍ جامـــعٍ صـــلاحَهُ فضـــمَّه بنفســـه منفـــردا
فلستُ أدرى أَلوحيٍ هابط أم آختيـــارا لقَّبـــاهُ الأوحـــدا ؟
وزارةٌ وفَّـــرها لدَســـتِه أنَّ أباه قبلُ فيـــه آستندا
دبَّرها مستبصرا فلم يكن مفوِّضا فيهـــا ولا مقـــلِّدا
يُســـند عن آبائه أخبارَها صادقةً اذا آتهمتَ المُســـندا
وأعتقُ الناس بها من لم يزل مكرِّرا فى بيتها مردِّدا
يا من نخضتُ النـــاسَ فاستخلصتُه بعـــدَ آجتهادى فاليـــا منتقـــدا

(١) زال : نهض . (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله . (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله .

والبازلُ العَوْدُ وقد نبذتُهم ... بَكِيَّةٌ[1] معرورةٌ[2] أو تَقَدا

ذلّلتَ أيامى وآستقربتَ لى ... غُلْبَّةً[3] وفاءها المستبعدا[4]

هوّنتَ عندى الصعبَ من صروفها ... فخلتُ أفعاها الوَثُوبَ سَدَدا

أعديتَها بحفظك العهدَ فقد ... صارت صديقا بعد أن كانت عِدا

ولم تضيّع حُرَما أحكمها ... قديمُ حقّ فيكُمُ وأكّدا

أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلًا ... بحيثُ قد زدتَ فصرتَ سيّدا

فاسمعْ أفايضْك بها قواطنا ... سوائرا معقّلاتٍ شُرَّدا

عوالقا بكلّ سمعٍ صَايِنٍ ... يلفظُ أن يقبلَ إلّا الأجودا

ممّا قهرتُ فجعلتُ وعرَه ... مُدَيَّنًا[5] وحرّه مستعبَدا

مَطارِبا اذا آحتبى الراوى لها ... شككتَ هل غنّى بها أم أنشدا!

تُحالُ أوجازا من آستقصارها ... وقد أطال شاعرٌ وقصّدا

يمضى الفتى الموسومُ فى فخارها ... صفحا وتُبقى عِرضَه مخلّدا

تحمِلُ أيامُ التهانى تُحَفًا ... منها اليك بادئاتٍ عُوَّدا

ما دامت الغبراءُ أو ما حَمَلَتْ ... مدحوّةٌ من الجبال وَتِدا

سنينَ تطويهنّ حيًّا سالما ... مُنَورِزا فى العزّ أو معيّدا

لا الشعرُ تَبلَى أبدا رسومُهُ ... فيك ولا تُعدَمُ أنت سَنَدا

---

(١) البكيّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها ، وفى الأصل "بلية" . (٢) المعرورة : التى أصابها العُرُّ وهو الجَرَب . (٣) غُلْبَّة : قهرا ، وفى الأصل "غَلِبَّة" . (٤) فى الأصل "المستعبدا" .

(٥) مدينًا : مملّكا مذلّلا .

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنئه بالمهرجان

رَدَّ عليها النـومَ بعـد ما شَرَدْ ... إشرافُها[1] على شَرافٍ من "أُحُدْ" (١٣٨)

وضَمَّها منشورةً مجـرى الصَّبا ... وعَطَنَ الدارِ وطِينـةَ البـلَدْ

فعطَفَتْ كلَّ صليفٍ ناشِزٍ ... على الحشائش وعلى لين المَسَدْ

يقودها الحادى الى حاجتـه ... وهمُّها أخرى اليها لم تُقَـدْ

وإنما تيمَّها "بحاجـرٍ" ... أيّامُها "بحاجرٍ" لو تُسـتَرَدّْ

وصالحاتٌ من ليـالٍ أخلقتْ[2] ... عهـودُها وهى مع الذِكرَى جُدُدْ

يادين من أهل "الغضا" سقامُها ... ووجدُها بمـدّعٍ ما لم يجِـدْ

وحفظُها عهـدَ ملولٍ ماطلٍ ... يذكر ما استرعَى وينسَى ما عَهِـدْ

وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ ... يحكم فيها بسوى العـدل الكَمَدْ

ومن فـؤادٍ بدَدٍ تلفِظُـه ... ولائذُ الحىّ مع الحصا البَدَدْ

وصارمٍ ما شَـقِىَ القَيْنُ به ... مذ سـلَّه عُنجُ اللحاظِ ما غُمِـدْ

ومن غزالٍ لا يُقِـلُّ ردفُـه ... ضعفا وفى حباله عُنقُ أَسَـدْ

وقامـة لو لم يكن لشكلها ... فعلُ القناة لم تمـلْ ولم تمِـدْ

باناتُ وادٍ مـذ حَمَتْ شجـراءَهُ[3] ... رماحُ "قيسٍ" ما اختُلِى[4] ولا عُضِدْ

تلاوِذُ الريحُ بكلِّ مرهفٍ ... غصنٍ اذا قام وحِقْفٍ إن قعـدْ

حبائبٌ "بالخَيْف" فى مَلاعبٍ ... هنّ النعيمُ وهى جنّـاتُ الخُـلُدْ

سقتْ دمـوعى حَرُّها وملحُها ... عيشا بها بالأمس طاب وبَرَدْ

---

(١) الشَّراف : اسم موضع . (٢) فى الأصل "أخلفت" . (٣) ما اختُلى : لم يُقطع مابه من خَلًى وهو الرطبُ من النبات . (٤) ماعضد : ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر .

لو كان لى على الزمان إمْرَةٌ ... بطاعةٍ قلتُ : أعدْها لى أعدْ

يا راكبا ، تدوسُ للرزقِ به ... حرَّ الثرى (١) والليلَ وجناءُ أُجُدْ

ترى الطريقَ عَرضَهُ وطُولَه ... لُقطبها بين ذراعٍ وعَضُدْ

تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرَى ... سائلةً : أين المَدَى وما الأمَدْ

كأنّها من خِفّةٍ من مسّها الـ ... ـأرضَ على أربعِها لا تعتمِدْ

تطلب نُجْحَ حاجها يجهَدُ من ... أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يجِدْ :

إرجِعْ وراءَ فاسترِحْ وأعفها ... ما كلُّ حظٍّ لك منه أن تكُدّْ

مَطرَحُ عينيكَ غِنَى مقترِفٍ (٢) ... كفى بنى الحاجاتِ شُقّاتِ البُعُدْ

بجانب "الزوراء" قصرٌ قصدُهُ ... بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِدْ

أيدى بنى "عبد الرحيم" مدَّه الـ ... ـدائمُ والبحرُ يَغيضُ ويَمُدّْ

قد أنعموه وأباحوا وِردَه ... مخلَّدًا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ

قومٌ اذا لم تَلْقَ منهم واحدا ... وإن لقيتَ الناسَ لم تَلْقَ أحدْ

صانوا حمى أعراضِهم ، ومنالُهم (٣) ... وذِبَّةٌ (٤) على الطريق تُنتقَدْ

وعَقَدوا لكلّ جارٍ ذمّةً ... وذمّةُ المال بهم لا تنعقدْ

هم دبَّروا الأرضَ فلم يُعيهِمُ ... بثقلها تدبيرُها ولم يَؤُدْ

ملوكُها اليومَ وآباؤهُمُ ... ملوكُها وما على الأرض وَتِدْ

تمطَّقوا (٥) السؤدُدَ فى مهودهم ... من حلَمٍ ما أُرضعتْ من لم يَسُدْ

---

(١) فى الأصل "حدّ الثرى" ، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلْق . (٢) المقترف : المكتسب . (٣) المال عند أهل البادية النَّعَم يذكر ويؤنث ، يقال : هو المال وهى المال .

(٤) وذِبّة : حقيرة مبتذلة وفى الحديث « أمن أجل دنيا دنيّة وشهوة وذِبّة » وفى الأصل "ودية" .

(٥) تمطقوا : تذوقوا .

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصَّلُ[1] بالقارح البازل والقَرْمِ[2] الأشَدّْ
وكلّما نازعهم منازعٌ سلّمَ مختارا لهم أو مضْطَهَدْ
ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لهمُ وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِدْ ،
وأظهرَ الآيةَ فى اشتباههم بأسا وجودا وعناءً وجَلَدْ ،
ما تَلِدُ الأرضُ ولو تحفّلتْ مثلَ "كمالِ الملكِ"، والأرضُ تَلِدْ
رعَى بنى الدنيا على اختلافهم منفردا بما رعاه مستبِدّْ
لا مستشيرٌ يُبصر الشورى له رأيا ولا مستصحٌ فيرتفِدْ
وَحْدَةُ ذى اللِّبدةِ، لا يُفقره غَناؤه بنفسه الى العَدَدْ
تُحرِّم النومَ المباحَ عينُه إزاء كلِّ خَلّةٍ حتى تُسَدّْ
لا مُغلَقُ[1] الرأيِ ولا مضطربُ الـ ـأحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤُدْ[2]
اذا أصاب فرصةً لعزمه صمّمَ لا يسوفُ اليومَ بغدْ
مبارَكُ النظرةِ، مَنْ أبصرد مصطبحا بوجهه فقد سَعَدْ
لو صيغت الأيامُ من أخلاقه لم يعترضْها كدَرٌ ولا نكَدْ
لم يُسمِه الملكُ "الكمالَ" أو رأى عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهِدْ
ولا أرادته العلا أباً لها إلا وقد أفلحَ منها ما ولَدْ
أقرّ بالفضل له حاسدُه ولو رأى وجهَ المحمود لحَمَدْ
أفقره الجودُ وإن أغناه أن ساد به، ولم يَسُدْ مَن لم يَجُدْ
فلا يزلْ على الزمان منكمُ مسلَّطٌ يَفرِى الأمورَ ويُقِدّْ
ولا تَبدَّلْ بسواكم دولةٌ أنتم على أرجائها سِترٌ يُمَدّْ

(١) فُصَّل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع ، وفى الأصل "فضل" . (٢) القرم : الفحل .
(٣) فى الأصل "معلق" . (٤) الزؤد : الفَزَع .

ولا رأى سريرها وسرجها ... من غيركم من يمتطى ويقتعدْ
وكنتَ أنت بقيا مسنوقا ... بعمره وعزّه شمسَ الأبدْ
تَسمِي العطايا لك كلّ حُرّةٍ ... لولا نداك لم تكن لتُعتَبَدْ
بِنْتِ الخدور فى الصدور رضعتْ ... ثدىَ الثّهى ونشأتْ من الكَبِدْ
لم تُمتَهنْ بلفظةٍ يلفظُها ... من شرّها السمعُ ولا معنًى يُرِدْ
يَرقى بها ودّ القلوبِ ساحرٌ ... ما شاء بالنفثةِ حلّ وعقدْ
كل لسانٍ ثنويٌّ مشيرُكَ ... وهو نكم فى شعره فردٌ صمدْ
ما دار — مذ دار الكلامُ — ناطقٌ ... بمثلها ولا جرتْ فى الصحْف يدْ
تغشاك منها كلّ يومٍ تحفةٌ ... نخبةُ ما قال الخبيرُ أو نقدْ
رآك دون الناس أولى بالذى ... بالغ فيه من ثناء واجتهدْ
ما نافقتْك مِدحةٌ ولم يَقُلْ ... فيك غلوّ الشعرِ إلا ما اعتقدْ

* * *

وقال فى سرير

قام برِجْلٍ ومشى على يدِ ... مُثريا للرزقِ من سيبِ يدِ
أهيفُ وهو فى السّمانِ معرقٌ ... وواحدٌ وهو كثيرُ العَدَدِ
يمشُه حملٌ ضعيفٌ تحتَه ... حتى يعودَ مُحكما ذا جلَدِ
يُشِتُّ شملا كلّما فرّقه ... أَلَّفَ منه بين شملٍ بددِ
تُبصر من عِظامه وجلدِه ... اذا اكتسى الثُّخينَ فوق العسجد

* * *

وقال فى رمّانةٍ حمراء

ما أمُّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــددْ (١) تُروِى رِضاعا وهى بِكْرٌ لم تلِدْ ؟

تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ بارِدِ لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : بَرَدْ (٢)

أعجِبْ به ماءً زُلالا شَبِما (٣) تجمُعُـــه فى أُهُبٍ (٤) نارٌ تقِـــدْ !

يا حسنَهـا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تحسُنُ والشملُ بددْ

* * *

وقال فى الغَزَل

" يا خَيْفَ " مُخطَفةُ الحشا (٥) تهوَى الغصونُ لها القدودا

أخذَ الغـــزالُ نِفـارَها وأعارها عَينـا وجِيـــدا

أَلِفتْ مِطـال عِداتِهـا (٦) يا ليتهـا تعِـــدُ الصدودا

نثرتْ مـــدامعيَ الفـــريـ (٧) ـدَ لنظمِ (٨) مَضحكِها الفريدا

قد كان رثَّ (٩) هوايَ فابـ ـتسمتْ فردّتْه جـــديدا

* * *

وقال فى غرضٍ من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعِلَّةً فأُنكره مسًّا وأعرِفُه قـــدّا

وأعدِلُ ثمَ الأُقحُوانِ بثغرها فأُرزَقُه برقا وأُحرَمُـــه بَرْدا

فللهِ مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أر منـــه ظالما أبدا بُدَّا

---

(١) إشارة الى ما بالرمّانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجلد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر .

(٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبيسمها .

(٩) رثّ : بَلِىَ .